E-ISSN: 1658-9602
www.jahs.qu.edu.sa

مجلة العلوم العربية والإنسانية
Journal of Arabic Sciences & Humanities
مجلة دورية علمية محكمة ربع سنوية

إدارة الجمعيات والمجلات العلمية
Administration of Scientific Journals & Associations

19، (2)، ربيع الثاني، 1447
October, 2025

أخبار التكاذب الأدبي في التراث العربي، مقاربة تداولية

Literary Reciprocal Falsehood in Arab Heritage: A Pragmatic Approach

د. حمد عبدالله العوفي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

الملخص

يدرس البحث خطاب التكاذب الأدبي في التراث العربي، ويجيب البحث على سؤال مركزي فحواه: ما الأسس الخطابية التي ارتكز عليها خطاب التكاذب الأدبي في التراث الأدبي؟ وقد استخدمت المقاربة التداولية في تحليل خطاب التكاذب الأدبي، ويهدف البحث إلى تحديد الأسس الخطابية، وتحليلها وفق أدوات المقاربة التداولية، وإبراز دور المقاربة التداولي في تحديد معالم هذا النوع الأدبي، إضافة إلى بيان أثر القصدية والسلطة، وتحديد إستراتيجيات الخطاب في هذا النوع الأدبي. ويناقش البحث: سياق أخبار التكاذب، والقصدية في أخبار التكاذب، والسلطة فيه، إضافة إلى تحليل إستراتيجيات الخطاب المستخدمة فيه. وقد خلص البحث إلى نتائج متعددة أبرزها: أنَّ الخطاب في أخبار التكاذب ارتكز على المشافهة، واعتمد على الحوار، كما اتسم خطاب التكاذب الأدبي بوضوح القصدية والسلطة فيه، وأنهما تتشكلان في سياقات محددة، إضافة إلى تنوع إستراتيجيات الخطاب فيه، وأنَّه يقوم على الوظيفة التواصلية والأدبية معًا.

الكلمات المفتاحية: تكاذب الأعراب، التكاذب الأدبي، التداولية، الخطاب، الكذب.

Abstract

This research examines the discourse of literary reciprocal falsehood (referring to situations where each party perceives the other as lying) in the Arab heritage, asking a central question: *What are the rhetorical foundations upon which this discourse is built*? Using a pragmatic approach, the study aims to identify and analyze these rhetorical foundations, highlight the role of pragmatics in shaping the features of this literary genre, demonstrate the impact of intentionality and authority, and uncover the discourse strategies it employs. The paper discusses the interplay of context, intentionality, and authority in reciprocal falsehood. The findings reveal that this discourse is grounded in orality, relies heavily on dialogue, and is marked by clarity of intentionality and authority within specific contexts. Strategies were diverse, and the discourse fulfilled both communicative and literary functions.

Keywords: Bedouin reciprocal falsehood, literary falsehood, pragmatics, discourse, lying.

الإحالة APA Citation:

العوفي، حمد. (2025). أخبار التكاذب الأدبي في التراث العربي، مقاربة تداولية. *مجلة العلوم العربية والإنسانية*، *19*، (2)، 115-146.

اسئلم في: 04-02-1447/ قُبل في 12-03-1447/نُشر في 28-04-1447

Received on: 29-07-2025/**Accepted on:** 04-09-2025/**Published on:** 20-10-2025

CC BY NC

1. المقدمة

الحمد لله الذي علَّم الإنسان، وفضَّله على سائر خلقه بنطق البيان، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد؛

فتختلف الخطابات باختلاف المقامات التي تتشكل فيها، ومن خلال المقام الذي يصدر فيه الخطاب يكون تصنيفه في مراتب الكلام، فقد يُصَنَّف على أنَّه خطبة بناءً على أنَّ الخطاب أُنْجِزَ في مقام الخَطَابة، وقد يُصَنَّف على أنَّه رسالة بناءً على إنجازه في مقام الرسالة؛ لذا ينبغي دراسة الخطاب المنجز وفقًا لمقامه، وتحديد نوعه، خاصة إذا كان المقام مُشْكِلًا في تصنيفه في مقامات الخطاب.

من هنا انبثقت فكرة هذه الدراسة، وهي دراسة الخطاب المنجز في مقام التكاذب الأدبي، فجاء عنوان البحث: أخبار التكاذب الأدبي في التراث العربي: مقاربة تداولية.

مشكلة الدراسة

يمكن تحديد سؤال البحث الأساس في: ما الأسس الخَطَابِيّة التي يرتكز عليها هذا الخبر الأدبي؟ وللوصول إلى إجابة هذا السؤال الأساس، فإننا نعرّج على سؤالات معرفية متعددة تسهم في بناء الإجابة عن السؤال الأساس، وهي: ما قواعد التخاطب في أخبار التكاذب الأدبية؟ وما دور المقاربة التداولية في تحديد هذا النوع الأدبي؟ ومن يملك السلطة في الخطاب؟ وكيف أثَّرت القصدية في تشكيل خطاب التكاذب الأدبي؟ وما إستراتيجيات الخطاب المستخدمة في أخبار التكاذب الأدبي؟

أهداف الدراسة

انطلاقًا من الأسئلة المعرفية للدراسة يمكن تحديد أهداف الدراسة فيما يلي:

- تحديد الأسس الخِطَابِية التي يرتكز عليها خبر التكاذب الأدبي.
- تحليل أخبار التكاذب الأدبي وفق أدوات المقاربة التداولية.
- إبراز دور المنهج التداولي في وضع معالم هذا النوع الأدبي.
- بيان أثر السلطة والقصدية في تشكيل الخطاب في أخبار التكاذب.
- الوقوف على إستراتيجيات الخطاب في أخبار التكاذب.

منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة المقاربة التداولية في معالجة خطاب التكاذب ضمن التراث الأدبي العربي؛ لما تتيحه المقاربة التداولية من أدوات تحليلية تُمكِّن من الكشف عن البُنى العميقة لهذا الخطاب، وتحديد السياقات والأُطر التي تسهم في إنتاجه، كما تُعْنَى برصد المهارات التواصلية اللازمة لإنجاز هذا النوع من الخطابات، وفق منظور تداولية الخطاب لدى

مختلف أطراف العملية التواصلية فيه.

الدراسات السابقة

لم أقف –فيما بحثت– على دراسة تحلل خطاب التكاذب في الأدب العربي وفق المقاربة التداولية، وإنَّما دُرِسَ التكاذب في التراث الأدبي العربي من جوانب مختلفة –على قلّة فيها– وقد وقفت على ثلاث دراسات في ذلك، هي:

الدراسة الأولى: دارسة الدكتور عبدالله الغذامي في كتابه "القصيدة والنَّص المضاد"، الصادر في عام 1994م، في بيروت: المركز الثقافي العربي. وهو أول من اعتنى بهذا الفن من النُّقاد المُحْدَثين، فخصَّصَ الفصل الثالث من الكتاب لدراسة الكذب في الأدب العربي، وأسماه: جماليات الكذب. وتحدث في الجزء الأول عن إشكالية المصطلح، وفي الجزء الثاني ناقش خبرين من أخبار التكاذب، وكلاهما رواه المبرِّد في كتابه الكامل، دون التطرق إلى بقية الأخبار في كتب الأدب الأخرى، كما أنَّه حلل الخبر الأدبي في التكاذب وفق المنهج التفكيكي.

ومع الإفادة من هذه الدراسة فإنَّ دراستي تختلف عن هذه الدراسة؛ إذ إنَّ دراسة الغذامي اتخذت المنهج التفكيكي لدراسة النص، في حين أنَّ دارستي اتبعت المقاربة التداولية. ثم هو درس النَّص وحلّله وأمّا دراستي فدرست الخطاب، إضافة إلى أنَّه درس خبرين من أخبار التكاذب اتفقت معه في أحد الخبرين، والآخر لم أصنفه ضمن أخبار التكاذب لما سيأتي. كما أنَّه اعتمد على كتاب الكامل للمبرِّد في دراسة المدونة، في حين أنَّ دراستي وسَّعت دائرة البحث لتشمل عددًا أكبر من المدونات الأدبية.

الدراسة الثانية: مقال علمي محكم عنوانه: "السخرية والفرجة في الأدب العربي: تكاذب الأعراب"، وهو منشور في مجلة البيان الصادرة عن رابطة الأدباء في الكويت، العددان: 358، 359، مايو يونيو 2000م. ويتكون المقال العلمي من (7) صفحات، تحدَّث فيها الكاتب عن إشكالية تحديد الجنس الأدبي لأخبار التكاذب، وأغراض الكذب عمومًا، من خلال أربعة محاور هي: التكاذب وبقايا الأساطير والخرافات، الشعر والكذب، التكاذب بين الغلو والسرقات الشعرية: سخرية أم فرجة، وقد اقتصرت مدونته التي درس أخبار التكاذب من خلالها على ما رواه المبرِّد في كتابه الكامل.

وتختلف دراستي عن هذه الدراسة في كون دراستي درست الخطاب في حين أنَّ هذه الدراسة ركزت على الإشكال الأجناسي لأخبار التكاذب، إضافة إلى دراسة الشعر والأساطير والخبر العجائبي في أثناء المقال. ثم إنَّ هذه الدراسة اكتفت من أخبار التكاذب بما أورده المبرّد في كتابه، ودراستي وسَّعت البحث في المدونات الأدبية.

الدراسة الثالثة: بحث علمي محكَّم عنوانه: (تكاذيب الأعراب والجنس الأدبي، قراءة في المقترح النقدي عند عبدالله الغذامي) منشور في مجلة إسطنبول للدراسات العربية، المجلد: 5، العدد: 2، 2022م. وواضح من عنوان الدراسة أنَّها ركزت على تحديد الجنس الأدبي لتكاذيب الأعراب، فهي قراءة نقدية حاولت أنْ تحدد معالم هذا الجنس الأدبي، وقد اتكأت على دارسة الغذامي، وناقشت رؤيته لهذا النوع السردي، وخرجت بنتيجة أنَّه نوع من أنواع الأدب العجائبي.

وتختلف دراستي عن هذه الدراسة في أنَّ دراستي ارتكزت على دراسة الخطاب في خبر التكاذب، وفق المقاربة التداولية، كما أنَّها أغنت المدونة بناءً على تحديد النوع الأدبي لهذا النوع من السرد، من خلال تحليل الخطاب.

خطة البحث

بناء على المقاربة التداولية المتبعة في هذه الدراسة التي "تسعى إلى الإجابة عن بعض الإشكاليات المرتبطة بالذاتية، التلقي، المقصدية، وكل ما يجعل الخطاب منسجًا" (الحاج، ط2015م، ص. 34) جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان مشكلة الدراسة، وأهدافها، وحدودها، ومنهجها، وخطتها.

التمهيد: وفيه التعريف بالتكاذب الأدبي، وإشكالية المصطلح.

المبحث الأول: السياق في أخبار التكاذب الأدبي.

المبحث الثاني: السلطة في أخبار التكاذب الأدبي.

المبحث الثالث: إستراتيجيات الخطاب في أخبار التكاذب الأدبي.

المبحث الرابع: قصدية الخطاب في أخبار التكاذب الأدبي.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

1. التمهيد: التعريف بالتكاذب الأدبي، وإشكالية المصطلح.

أولى مراحل تحليل الخطاب وفق أي منهج هي مرحلة تحديد النوع الأدبي الذي ينتمي إليه النَّص المستهدف بالتحليل، فلكل نوع أدبي أدواته التحليلية التي يقوَّم بها، وهذا النوع الأدبي الذي هو التكاذب الأدبي لم يحدد نوعه الدقيق حتى العصر الحديث؛ وذلك لدقته وقلة نماذجه في التراث الأدبي.

وأول ما نجده من محاولة تحديد النوعي الأجناسي له هي عند المبرّد في كتابه الكامل، وهو وإنْ لم يكن تحديدًا نوعيًّا قد حُدِّد بناءً على رواية الخبر فيه، حيث عقد بابًا عنونه بـ"مِن تكاذيب الأعراب" (المبرّد، ت285هـ، ط1997، ص.147/2)؛ استنادًا إلى الخبر الذي ذكره في مطلع هذا الباب، ولكن عند تفحُّص الأخبار التي أوردها فإننا نجد قصده ينحاز إلى الكذب عمومًا، الذي لا يمكن تصديقه؛ لذا جاءت الأخبار في هذا الباب بناءً على هذا التصور، على خلاف النَّظرة الحديثة لهذا النوع الأدبي.

ولو نظرنا إلى كتب الأدب الأخرى التي ذكرت أخبار التكاذب –وهي قليلة– نجد أنَّها سارت في الغالب على حسب ما سار عليه المبرّد، وفي الجدول التالي توضيح لمن ذكر أخبار التكاذب وعصره وكتابه وفي أي باب ذكرها

جدول 1: أخبار التكاذب الأدبي في المدونة الأدبية التراثية.

م	المؤلف	الكتاب	اسم الباب الذي ذكر فيه أخبار التكاذب
1	محمد بن يزيد المبرّد	الكامل في اللغة والأدب	باب من تكاذب الأعراب (المبرّد، ت285، ص.

	(ت: 285)		(147/2
2	منصور بن حسين الآبي (ت: 421)	نثر الدرر	باب في الكذب (الآبي، ت421هـ، ط1997م، ص. 316/4)
3	الراغب الأصفهاني (ت: 502)	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء	مما جاء في الصدق والكذب (الأصفهاني، ت502، 2019م، ص. 1/ 253)
4	ابن حمدون (ت: 562)	التذكرة الحمدونية	باب في الصدق والكذب (ابن حمدون، ت962، 1996م، ص. 3/ 85)

وبتحليل مواضع إيراد أخبار التكاذب في كتب التراث الأدبي نخرج بالآتي:

أولا: أنَّ أخبار التكاذب وردت في كتب الأدب المتقدمة (من القرن الثالث إلى القرن السادس) ولم تُنْقَل في كتب الأدب المتأخرة أو تُذكر إليها، إضافة إلى أنَّ بعض أشهر كتب الأدب لم تنقل شيئًا من هذا النوع الأدبي، مثل: كتب الجاحظ، وأبي الفرج الأصفهاني.

ثانيا: في بداية إيرادها كان العلماء أدق في تنزيلها في باب مختص بها كالمبرّد والآبي، أما المتأخرون منهم فقد دمجوا بين أخبار الصدق والكذب في هذا الباب، وصنيعُ القدماء خير من صنيع المتأخرين عنهم؛ ذلك أنَّ أخبار الكذب تتنوع وتتشكل بأشكال كثيرة، فهي حرية بأنْ تستقلّ بباب لها.

وهذا الفن –على قلة نماذجه التي وصلت إلينا– نكاد نجزم أنَّه ما زال إلى اليوم يتداوله الناس في مجالسهم، وهو أقرب إلى الأدب الشعبي الذي يعتمد على المشافهة أكثر من اعتماده على الكتابة، وما أدَّى إلى قلة نماذجه لدينا في التراث الأدب –في ظني– هو الفجوة التي حصلت بين الشفاهية والكتابة فيه، فهذا النوع الأدبي قليلًا ما يُكْتَب، بل إننا نراه يبقى شفهيًّا دون اعتبار لنقله. يقول الغذامي مبرزًا قيمة هذا الفن: "وإني لأرى أنَّ هذا فنٌّ مهمّ من فنون الآداب العربية، يحسن بنا أنْ نعيد إليه الاعتبار" (الغذامي، 1999م، ص. 5).

وهناك خلط ظاهر بين تكاذيب الأعراب، وتكاذُب الأعراب، وهذا الخلط ظهر لتقارب اللفظتين، وإن كان المبرّد دقيقًا في عبارته، فقد ذكر اسم الباب بعنوان "من تكاذيب الأعراب"، وهذا العنوان ينطبق على كل الشواهد التي ذكرها في هذا الباب، ولكن عند إيراده خبر التكاذب قال في مطلعه "تَكَاذَبَ أعرابيان"، مستخدمًا وزن (تفاعَل) الدال على التشارك في الفعل، وهو الكذب. أما ما ذكره في بقية الباب فهو داخل في الخبر العجائبي، أو في الخيال الشعري؛ لذا يمكن القول إنَّ التكاذب هو فن مستقل، يقول السماعيل: "وكلمة (تكاذب) التي أوردها المبرّد في صدر روايته لتلك المحادثة تعني في عمقها المعنوي قوله: تنافس أعرابيان في الخيال المستحيل، فقال أحدهما... ولذا فإنَّ التكاذيب بهذا المفهوم تكون صدقًا؛ لأنَّها لا تتجاوز الفعل اللغوي المتفق عليه" (السماعيل، ط1422هـ، ص. 245).

كما نجد أنَّ أكثر الباحثين يخلطون بين هذا النوع الأدبي والخيال الأدبي (انظر: الناجي، 2000م، العددان: 39،

40، ص. 39)، وفي نظري أنَّ الخيال الأدبي لا علاقة له بفن التكاذب، إذ إنَّ فن التكاذب لا بُدَّ من توفر شروط فيه، حتى يمكن أنْ ندرجه في فن التكاذب، وهي:

أ- أنْ يكون النص نثريًّا، فلا يصح أنْ يُطْلَق على الشعر تكاذب، لأنَّ مرتكز الشعر الخيال؛ "والمخيَّل هو الكلام الذي تذعن له النَّفس، فتنبسط عن أمور، وتنقبض عن أمور، من غير روية وفكر، واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالًا نفسانيًّا غير فكري، سواء كان القول مصدقًا به أو غير مصدق، فإنَّ كونه مصدقًا به غير كونه مخيلًا أو غير مخيل، فإنَّه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل به، فإن قيل مرة أخرى، وعلى هيئة أخرى، انفعلت النَّفس عنه طاعة للتخييل لا للتصديق فكثيرا ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقًا، وربما كان المتيقَّن كذبُه مخيَّلًا، وإذا كانت محاكاة الشيء بغيره تحرك النَّفس وهو كاذب، فلا عجب أنْ تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرك النفس وهو صادق، بل ذلك أوجب، لكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق" (ابن سينا، ت427هـ، ط1953م، ص61). ومن هنا لا يمكن أنْ نَعُدَّ كل ما ذكره المبرّد من أخبار تحت ما بوبه باسم "من تكاذيب الأعراب" من هذا النوع الأدبي "تكاذب الأعراب" كذا يظهر لي، وكذلك يبدو لي فهم المبرّد إذا إنَّ التكاذيب التي أحال إليها في الشعر غالبها كانت في تفسيره للشعر لا في أصل الشعر نفسه.

ب- أنْ يقوم على التَّخاطب، والمشافهة: "فالتكاذب الشفاهي يكون مباراة بين اثنين يسمع أحدهما الآخر، وكل واحد منهما يحاول أنْ يتفوق على نظيره، كأي مباراة في أي مجال" (السماعيل، ط1422هـ، ص. 248).

ج- أنْ يكون الخبر خياليًّا لا يمكن وقوعه، ولا تدخل هنا الأخبار العجائبية التي يمكن وقوعها، أو أنَّ فيها مبالغة فقط، ولم تصل إلى درجة الخيال، من مثل: خبر أورده المبرّد، وهو قوله: "وتزعم الرواة أنَّ عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب قال لابني الجون الكنديين يوم جبلة: إنَّ لي عليكما حقًّا لرحلتي ووفادتي، فدعوني أُنْذر قومي من موضعي هذا، فقالوا: شأنَك، فصرخ بقومه بعد أن قال له: شأنك، فأسمعهم على مسيرة ليلة"(المبرّد، ت285، ص. 148/2)، فهذا الخبر يدخل في العجائبي ولا يدخل في باب التكاذب، إذ إنَّه فقد شروطًا عدة، وقد يمكن وقوعه.

أما الخبر العجائبي الذي لا يمكن وقوعه، من مثل ما رُوِي في التذكرة الحمدونية حيث قال: "وللعرب أقوال منكرة، فمن ذلك قول رجل من آل الحارث بن ظالم: والله لقد غضب الحارث يومًا فانتفخ في ثوبه، فبدر من عنقه أربعة أزرار، ففقأت أربعة أعين من عيون جلسائه" (ابن حمدون، 1996م، ص. 3/ 53)، إضافة إلى أنَّ هذا الخبر لم يقع داخل خطاب بين اثنين.

وقد عدلت عن تسمية هذه الأخبار بتكاذيب الأعراب إلى التكاذب الأدبي؛ لأنَّ هذا النوع الأدبي قد وُجِدَ بعد الأعراب، كما في الحصر في الجدول السابق، فلا يصح أنْ يُنْسَب إلى الأعراب دون غيره، وهو وإنْ وُجِدَ ابتداء عندهم شأنه شأن كثير من الأخبار الأدبية، قد وُجِدَ عند غيرهم؛ لذا آثرت نسبة هذا التكاذب إلى الأدب، فأطلقت عليه

التكاذب الأدبي؛ ذلك أنَّ الهدف الأول منه في هذا المقام هو المتعة الأدبية فقط.

وبهذا يمكن تعريف التكاذب الأدبي بأنَّه "فن قولي ارتجالي بين أكثر من جهة متفقة من البداية على الإغراق في معانيه، والمبالغة في مقاصده، ولا ينجز هذا النوع من الأدب إلا حين يتفق كلا الطرفين المؤسسين له على أنْ يكون كاذبًا ومكذوبًا عليه في آن واحد"،(الرفاعي، 2022، مجلد: 5، ص.167) وهذا الاتفاق قد يكون صريحًا في بداية إنجاز الفعل، أو ضمنيًّا يُفْهَم من خلال سياق الخطاب.

2. المبحث الأول: السياق في أخبار التكاذب الأدبي.

يعدّ السياق من المصطلحات التي دار حول مفهومها حراك علمي كبيرح وذلك لتحديد مكوناته، والتفريق بينه وبين المقام، ومقتضى الحال الذي حدده البلاغيون العرب قديما، فـ "مفهوم السياق من المفاهيم التي أسالت الكثير من الحبر في الفكر المعاصر، وبالخصوص في علم اللغة" (الولي، 2007م، العدد.25، ص62)، ولم نجد مَنْ عرَّفه من علماء البلاغة قديمًا تعريفًا جامعًا مانعًا، وإن كانوا أشاروا إليه، وأول ما نقف عليه تعريف السجلماسي الذي عرَّفه بقوله: "هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول" (السجلماسي، ت: 704هـ، 1980م، ص. 188)، ومن بعده ابن البناء المراكشي الذي عرَّفه –وجعله من القرائن في الكلام– بقوله: "سياق الكلام: وهو ربط القول بالغرض المقصود من غير تصريح به" (المراكشي، ت721هـ، ط1985م، ص.123).

وللسياق أهمية في تأويل النصوص وتحليل الخطاب، "فمحلل الخطاب ينبغي أنْ يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، والسياق... يتشكل من المتكلم والمستمع والزمان والمكان، لأنَّه يؤدي دورًا فعالًا في تأويل الخطاب، بل كثيرًا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين... إنَّ للسياق دورا مزدوجا؛ إذ يحصر مجالات التأويل الممكنة، ويدعم التأويل المقصود" (خطابي، ط1991م، ص.52).

وعند النظر إلى السياق في أخبار التكاذب فأول ما يصادفنا هو السياق الثقافي، فالسياق الثقافي العربي قد قَبِلَ هذا النوع الأدبي، وتفاعل معه بأنْ نقل أخباره –على قلتها– وإنْ كان هنالك تعليل لوجوده عند العرب، كما نقل المبرّد عن التوزي أنه قال: "سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الأخبار من أخبار العرب، فقال: إنَّ العجم تكذب، فتقول: كان رجل ثلثه من نحاس، وثلثه من نار، وثلثه من ثلج، فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه" (المبرّد، ت285هـ، ط1997، ص.151/2).

وهذا الخبر الذي يَرُدُّ أصل الخبر العجائبي في الأدب العربي القديم –إن صح التعبير– إلى العجم، يختلف عن أخبار التكاذب –كما بيَّنت آنفًا–، إلا أنَّ السياق الثقافي العربي سمح بتطوير هذا الخبر العجائبي، ليسلكه في سلك الخطاب، فأنتجوا لنا أخبار التكاذب التي تكون بين شخصين فقط، وهذا بفضل السياق الثقافي الذي سمح بإنتاج مثل هذا النوع الأدبي، وإلا فقد نجد بعض السياقات في ثقافات الأمم الأخرى لا تقبل مثل هذا النوع الأدبي.

ويمكن تحليل السياق في خطاب أخبار التكاذب عمومًا بناءً على المقاربة التداولية دون الدخول في تفاصيله التي قد تتداخل مع مناهج تحليلية أخرى، حيث تسمح لنا الدراسة التداولية لأخبار التكاذب أنْ نُدْمِجَ بين خطابها والمقامات التواصلية التي نشأت فيها، فخطابها امتاز بالأدبية العالية، حيث إنَّه يعتمد على الخيال العالي، فيحاول منجز الخطاب أنْ يرتقي بخياله إلى أنْ يصل إلى أقصى حدود الخيال، فكلما بلغ ذروة الخيال، نجح خطابه، فالمخاطِب في خبر التكاذب يتوخَّى إثارة المخاطَب من خلال دفع خياله إلى أقصى ما يمكن، في مقام تواصلي.

فأخبار التكاذب تتشكل في سياقة مقامية محددة، ففي مطلع أول خبر رواه المبرّد حدد راوي الخبر سياقه المقامي بناء على ما فَهمه من مجريات الخطاب، فقال: "تكاذب أعرابيان" فهنا حُدِّد السياق بأنَّه سياق تكاذب، وهذا ما يوجه هذا النوع الأدبي، فلا بُدَّ فيه من تحديد سياق التكاذب، وأنْ يكون طرفا الخطاب على وعي ورضا بذلك، وإلا أصبح الكلام لا معنى له، أو خرج إلى معنى الكذب الذي هو ضد الصدق، يقول الغذامي: "وهذا ما يجعلنا نقول بأهمية الجملة الأولى، ونقول إنَّها جملة تشير إلى السياق وتحدد الجنس الأدبي وفئة المبدعين، وخسارتنا ستكون كبيرة وتؤثر في فهمنا للنص لو أهملنا هذه الجملة" (الغذامي، ط1994، ص125).

ولكن هذه الجملة ليست من أصل الخبر ويبدو لي أنها من إقحام الراوي، فقد ذكرها تمهيدًا للخبر وتحديدًا لسياقه بناءً على ما فهمه من أحداثه، فلا ندري على وجه القطع هل اتفق الأعرابيان على التكاذب قبل البدء في الخطاب أم لا؟ والذي يظهر لي أنهما لم يتفقا، وإنما فُهِم السياق من خلال مجرى الخطاب، وهذا يتضح بشكل أكبر في خبر الرجلين الذي قال أحدهما: "كان أبي زرع سنة السلجم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب أرض! فقال الآخر: كان أبي اتخذ مرجلًا في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذًا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر! فقال صاحبه: ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال: السلجم الذي زرعه أبوك!"، ويتضح عدم الاتفاق على السياق من استنكار المخاطَب في الجزء الأول من الخطاب، وتكذيبه للخطاب، مما استدعى إلى أنْ يرد المخاطِب، ويذِّكره بقوله الأول.

وقد يحدث في أخبار التكاذب أنْ يتفق المخاطبان على السياق كما في خبر رؤبة مع الرجل، حيث جعل له جائزة لو حدَّثه بحديث لم يصدِّقه عليه فحدَّد له سياق الخطاب، وهنا استخدم رؤبة طريقة ذكية لينتزع هذه الجائزة، وهي التلاعب بقواعد الخطاب، فكسر السياق المتوقع، فبدأ خطابه على سياق التكاذب الذي كان المخاطِب مستعدًّا لتلقيه، فجاء خطابه على ثلاثة مراحل، الأولى والثانية على سياق التكاذب، والثالثة على سياق الكذب المحض، وتفصيل تلك السياقات هي:

الأول: استخدم سياق التكاذب، فقال: "أبَق لي غلام يوما، فاشتريت يوما بطيخة، فلما قطعتها وجدته فيها"، فكان رد الرجل: "قد علمت".

الثاني: استخدم سياق التكاذب، فقال: "دبِر لي فرس، فعالجته بقشور الرمان، فنبت على ظهره شجرة رمان تثمر كل سنة"، فكان ردُّ الرجل: "قد علمت".

الثالث: خالف سياق التكاذب وانتقل إلى سياق الكذب المحض، "فقال: لما مات أبوك كان لي عليه ألف دينار" (الأصفهاني، ت502، 2019م، ص. 1/ 253)، وحينها كذَّبه الرجل في السياق الثالث، وقال له: "كذبت يا ابن الفاعلة!"؛ لأنَّه خالف فيه أفق التوقع عند المخاطِب، فقد كان الرجل ينتظر من رؤبة أنْ يأتي له بأخبار تتوافق في مضمونها مع سياق التكاذب بأنْ تكون مستحيلة من مخيلته، وفق ما يقتضيه سياق التكاذب، وعندما خالف هذا التوقع، كذَّبه الرجل، وفاز رؤبة بالجائزة.

وفي خبر قريب من هذا ما رواه صاحب التذكرة الحمدونية، قال: "قال المدائني كان عندنا بالمدائن دِهْقَان يقال له دينارية، وكان خبيثًا، فقال له والي المدائن: إن كذبتَ كذبة لم أعرفها فلك عندي شراب ودراهم وغيرها، قال دينارية: هرب لي غلام فغبر عني دهرًا لا أعرف له خبرًا، فاشتريت يوما بطيخًا فشققته فإذا الغلام فيه يعمل خُفًّا، وإذا هو إسكاف، قال العامل: قد سمعت. قال: كان لي برذون فدبِر، فَوُصِف لي قشور الرمان فألقيتها على دَبَرَته فخرج من ظهره شجرة رمان عظيمة، قال: وقد سمعت بهذا أيضًا. قال: كان لغلامي فَروة فقمِلت فحملها القمل ميلين، قال: قد سمعت بهذا. فلما رأى أنَّه يُبْطل عليه كل ما جاء به قال: إني وجدت في كُتُب أبي صكًّا فيه أربعة آلاف درهم، والصك عليك، فقال: هذا كذب ما سمعته قط، قال فهات ما خاطرت عليه، فأخذه" (ابن حمدون، ت962، 1996م، ص. 3/ 85).

وبتفحص الخبر السابق وما اختلف فيه عن الخبر الذي قبله، نجد أنَّه أكثر غرابة، ويتعمد فيه المخاطَب الإغراب في الخيال حتى يصل إلى الجائزة، فنجد في خبر الغلام الذي أَبِقَ أنّه جعله في الخبر الثاني يعمل، وأنَّه حاذق في عمله، أما في الخبر الأول فاكتفى بوجوده فقط، دون التَّطرق إلى تفاصيل أخرى، ثم زادت هذه الرواية للخبر بذكر أمر الفروة التي قَمِلت، وأنَّ القمل حملها لمسافة ميلين، وهذا التفاصيل الدقيقة في ذكر الأخبار كان هدفها المبالغة في الخيال حتى يكذِّبه المخاطِب ويفوز بالجائزة.

وقد ذكرت هذه الرواية استشعار المخاطَب للسياق حيث قال الراوي: "فلما رأى أنَّه يُبْطل عليه كل ما جاء به" أي أنَّ المخاطِب أدرك أنَّ المخاطَب مستعدٌّ لتلقي الأخبار وفق السياق الأول، وهو سياق التكاذب؛ لذا لجأ إلى تغيير الخطاب ليجعله لا يتناسب مع السياق الذي استعدّ له المخاطَب، فعاد إلى اختراع خبر ممكن، مخالفًا لسياق التكاذب حينها كذَّبه المخاطب الأول، وظفر المخاطب الثاني بالجائزة.

وقد يكون الاتفاق على السياق ممتدًّا في أخبار التكاذب، وذلك ما حصل بين الفتى الذي رغب أنْ يكون نديمًا للأمير، فقد أُخْبِر بأنَّه مولع بالكذب، وأنَّ عليه تصديقَه في كذبه، وبهذا يكون السياق ممتدًّا ما دام الفتى بحضرة الأمير،

فهو في سياق التكاذب؛ لذا رأينا في الخبر عندما كسر الفتي السياق وأبدى استغرابه من خبر الأمير الذي أورده، وهو قوله: "إنَّ لي عادة في كل سنة أنْ أطبخ قِدْرًا كبيرة وقت ورود حجاج خراسان، وأدعوهم وأطعمهم جميعًا من تلك القدر الواحدة، فتحيَّر الفتى، وقال: أيُّ شيء هي هذه القدر: بادية العرب؟ دهناء تميم، بحر قلزم"، طرده الأمير، ثم إنَّ المرة الثانية كان الانفصال رغبة من الفتي، ذلك أنَّه لم يتحمل هذا السياق، وذلك عندما جرى ذِكْر الكلاب الربيبة، "قال الأمير: قد كان عندي منها عدّة في غاية الصغر، حتى إني لآمر بأنْ تُلْقى في المكحلة، وكان لي مُضْحِك أعبث به، فأمرت أنْ يكحل من تلك المكحلة إذا قام وسَكِر، وكان إذا أصبح وأفاق من سُكْره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينه ولا يقدر عليها لصغرها" فقام الفتى وقال: لا صبر لي على كلاب تنبح في أجفان العين، ثم فارق الأمير (الآبي، ت421هـ، ط1997م، ص. 316/4).

وبهذا يتضح لنا أنَّ نجاح سياق التكاذب أنْ يكون في مجلس واحد ولا يمتد إلى مجالس متعددة، أو في أوقات قريبة، ثم ينقطع، وهذا مما يميزه. أما إذا طال وكثر فغالبا ما يُمَقَّت، ولا يُصْبر عليه، فلم نجد من تخصص في أخبار التكاذب إلا هذا الأمير، ولم يجد من يرغب في الجلوس معه، حتى تلمَّسوا له فتى معدمًا يجالسه، ومع كل ذلك لم يتحمل ديمومة ذلك الخطاب.

وخطاب التكاذب تتنازعه الوظيفة التواصلية والوظيفة الأدبية، ولا تغلب إحداهما على الأخرى، فالوظيفة التواصلية تظهر في مراحل متعددة من مراحل إنجازه، فهو أولًا يقوم على التخاطب، وهذا التخاطب لا بُدَّ فيه من تواصل؛ لذا نجد أنَّ المدونة لهذا النوع الأدبي قائمة في أساسها على التواصل، ففي الخبر الذي نقل المبرّد يبدأ بقوله: "تكاذب أعرابيان فقال أحدهما للآخر"، فهنا نجد التواصل حاضرًا بكل أدواته، ونقيس على ذلك بقية الأخبار من هذا النوع الأدبي، وهذا التواصل هو تحديد للسياق الذي يظهر فيه الخطاب.

وتظهر الوظيفة الأدبية في الخيال الذي هو ركن أساس في الأخبار التي تُرْوَى، فنجد قول الرجل: "كان أبي زرع سنة السلجم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب أرض" غارقًا في الخيال، وليس المقصد هنا الكذب، وإنما المقصد إظهار القوة على تخيل أشياء لا يمكن أنْ تقع؛ لذا أجابه المخاطب بأنْ انطلق من خبره، فقال: "كان أبي اتخذ مرجلًا في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذًا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر"، وعندما أنكر عليه الرجل قولته، وأي شيء سيطبخ في هذا القدر، ذكَّره بقوله فقال: "السلجم الذي زرعه أبوك!"

وفي سياق الفعل نجد أنَّ العُرف التعاقدي الذي يعقده المتخاطبان في أخبار التكاذب يضطلع بدور كبير في إنتاج الأفعال اللغوية، ويكون أكثر وضوحًا في إنتاج الخطاب اللاحق، فالتكاذب يقوم على خطاب أولي يتبعه خطاب لاحق، ولا يمكن أنْ يتمّ هذا النوع الأدبي إلا بهذا الخطاب اللاحق؛ لذا نجد في الخبر السابق إنكار أحد المخاطبين كلام مخاطبه، وسرعان ما ذكَّره المخاطَب بخطابه الأول، ليبعث السياق من جديد.

فالمخاطب الثاني غفل عن السياق أو تجاهله، وحمل كلام صاحبه على سياق الكذب، وهذا يظهر جليًّا في الاستفهام الإنكاري المسبوق بتعجب من الجرأة على الكذب الذي وجَّهه إلى مخاطبه: "ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟" وهنا جاء دور المخاطب الأول، ليعيد السياق إلى مكانه الصحيح، فردَّ عليه بجواب يحمل في طياته معنى ضمنيًّا وهو أننا في سياق تكاذب، وهذا المعنى الضمني فُهِمَ من تداولية الخطاب؛ لذا أقر المخاطَب به، ولم ينكره أو يعلق عليه.

ومن هنا نستنتج أنَّ السياق والتراضي عليه هو الذي يخول إنجاز فعل التكاذب، فلو لم يتراض طرفا الخطاب على سياقه لم يتمكنا من إنجاز فعل التكاذب، وهذا الأمر هو الفارق الدقيق بين خبر التكاذب والخبر العجائبي، فمثلًا في خبر رواه الراغب الأصفهاني، وهو قوله: "وقال بعضهم: كان لأبي منقاش اشتراه بعشرين ألف درهم، فقيل أكان من جوهر أو مكللًا، فقال: ولكن كان إذا نتف به شعرة بيضاء عادت سوداء"(الأصفهاني، ت502، 2019م، ص. 1/ 254)، ففي هذا الخبر لم نجد اتفاقًا على سياق محدد، لذا انتقضت أحد أركان أخبار التكاذب، وهي الاتفاق على سياق التكاذب، فخرج إلى الخبر العجائبي.

ومن أهم ما يمتاز به سياق خطاب التكاذب أنَّه سياق شفهي، أي قائم على الحوار والخطاب المباشر، وهذا السياق له متطلباته، من القدرة الذهنية على استيعاب الموقف، والرد عليه بما يصلح له؛ لذا نجد في الخبر الذي رواه المبرّد: "تكاذب أعربيان" أنَّه ينسب إلى الأعراب "والأعراب... كَلِفون بالغرائب، يلهجون بالعجائب، ويفتعلون الأكاذيب" (الرشيد، ط2015، ص.122)؛ لذا ينبغي أنْ نتصور –بناء على معطيات ورود أخبار التكاذب من سلسلة الرواة والمشافهة– أنَّ خبر التكاذب "يحكي حدثًا وقع بحضور جمهور معاين اختص بعض منه على نقله وروايته، فالتكاذب بهذا المعنى فعل معلن وسلوك أمام الملأ، له غايات مقصودة ونهايات مرجوة" (الناجي، 2000م، العدد: 358- 359، ص.39).

أما إذا تحدثنا على أطراف السياق في أخبار التكاذب، فسنجد أنها تتشكل في المتحاورين داخل الخطاب، وهنا لا بُدَّ أنْ يكونا شخصيتين حقيقيتين إنسانيتين، وذكرت هنا إنسانيتين للتفريق بينها وبين الخبر العجائبي، أو الحوار الذي يصاغ على ألسنة الحيوان، فكل ذلك لا يدخل في أخبار التكاذب، ففي الخبر الأول كان طرفا الخطاب أعرابيين، وفي الخبر الثاني رجلًا مع رؤبة، وفي الخبر الثالث رجلين، وفي الخبر الرابع دهقانًا مع والي المدائن، وفي الخبر الخامس الأمير والفتى، وهنا نرى أنَّ أغلب أطراف الخطاب مبهمة، ولم تكن معلومة، وهذا يثير سؤالًا فحواه: لماذا أُبهم أطراف الخطاب، ولم يجرأ أحد أن ينسبه لنفسه؟ أو أنَّه هو قائم به؟

ولعل أقرب إجابة لهذا السؤال هي أنَّ الهدف من الخطاب في أخبار التكاذب فني أدبي بحت، وهو أقرب إلى مبارزة أدبية، تعتمد على الخيال الواسع؛ لذا قد يأنف ويتحرج الإنسان من نسبة مثل هذا الخبر إلى نفسه، كما أنَّ نسبة

الإخفاق في إنجاز الخطاب قد تكون عالية؛ لذا نجد أنَّها تنسب -غالبا- إلى مجهولين، ولكن في المقابل نجد أنَّ الإنسان على استعداد تام لتلقي هذا الخبر، والتفاعل معه.

ونجد خبرًا واحدًا حُدِّد فيه أحد أطراف الخطاب صراحة، وهو (رؤبة) ذلك عندما قال راوي الخبر: "وقال رجل لرؤبة" ثم إنَّ رؤبة أخذ يمارس أفعال التكاذب مع الرجل، ولكن ما سوَّغ ذكر رؤبة هنا هو السياق الذي صنعه الرجل قبل البدء في الحديث، حيث جعل التكاذب في سياق التحدي، ووضع جائزة لذلك: "إنْ حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية"، وكأنَّه اختبار لقدرات رؤبة الخيالية، وقد قَبِلَ رؤبة هذا السياق وانخرط في الخطاب، وأحسن في التعامل مع مجريات الخطاب حتى ظفر بالجائزة.

ومما يجب التنبيه عليه أنَّ أخبار التكاذب لا تتم إلا بوجود الطرفين في الخبر نفسه، وإذا انتفى ذلك خرج عن أخبار التكاذب إلى الخبر العجائبي، وهذا ما يتضح لنا في خبر التكاذب الذي رواه المبرّد، وهو قوله: "تكاذب أعرابيان... فقال الآخر: لقد رميت ظبيًا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة، فعدل السهم خلفه، فتياسر الظبي، فتياسر السهم خلفه، ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه، فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه"، فقد روى الجاحظ الخبر دون أنْ يكون هناك خطاب وحوار، فقال: "وحدثني أبو المنجوف قال: قال أبو حية: عنَّ لي ظبي فرميته، فراغ عن سهمي، فعارضه والله السهم، ثم راغ فراوغه حتى صرعه ببعض الخَبَارات" (الجاحظ، ت255هـ، ص. 2/ 229، والتوحيدي، ت414هـ، ص.138/9)، فعندما ندرس الخبر على رواية الجاحظ يكون في الخبر العجائبي، وعندما ندرسه على رواية المبرّد يكون في باب التكاذب الأدبي.

وبهذا يمكن القول إنَّ السياق هنا قد تحدد "جزئيًّا في أي وقت معين بواسطة محتويات ذاكرة الجهاز الاستنباطي، ومحتويات المخزن المتعدد الاستعمالات للذاكرة القصيرة المدى، ومحتويات الموسوعة، وبواسطة المعلومات التي يمكن التقاطها مباشرة من البيئة المادية" (دان سبيربر و ديدري ولسون، ط2016م، ص247)، وهي التي أدّت إلى أنْ يَرُدَّ المخاطَب وفق فهمه للسياق، ولو لم يفهمه أو فهمه على أنَّه من الخبر العجائبي لم يردّ عليه، ويكون الحوار قد انتهى إلى ذلك الحد.

3. لمبحث الثاني: السلطة في أخبار التكاذب الأدبي.

نظرًا لأنَّ البحث قائم على تحليل خطاب التكاذب الأدبي، فالسؤال المتبادر: هل لا بُدَّ أنْ يكون في كل خطاب سلطة؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بأنَّ "الخطاب لا ينفصل عن السلطة، بل هو على علاقة تلازمية، بله جدلية معها؛ لذلك نجد أنَّ من شأن الخطاب -عند فوكو- أنَّه يحتوي على آليات سلطوية تمكنه من الهيمنة من جهة، ومن إنتاج ممارسات خاصة به من جهة ثانية، فالخطاب يتحرك وينتج سلطة" (الحميري، ص. 187).

ومعلوم أنَّ كل خطاب يتشكل من محتوى وعلاقة، وكل واحد منهما يؤثر في الآخر، أو بحسب الثاني (العلاقة)

يكون الأول (المحتوى) وقد تظهر في أخبار التكاذب عدة علاقات، منها السلطة المطلقة، ومنها السلطة المشتركة، "فالسلطة بمعناها العام هي الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرًا ومأمورًا وأمرًا، آمرًا له الحق في إصدار أمر على المأمور، ومأمورًا عليه واجب الطاعة للآمر، وتنفيذ الأمر الموجه إليه، إنها إذن، علاقة بين طرفين متراضيين، يعترف الأول منهما بأنَّ ما يصدره من أمر إلى الطرف الثاني ليس واجبًا عليه إلا لأنه صادر عن حق له فيه، ويتعرف الثاني منهما بأنَّ تنفيذه للأمر مبنيٌّ على وجوب الطاعة عليه، وحق الطرف الأول في إصدار الأمر إليه" (نصار، ط2001، ص.7).

وطالما أنَّ خطاب التكاذب الأدبي قائم على الشفهية والتلقي المباشر، وتحديد القصد فيه، فهو لا يخلو من سلطة "فالاشتراك المتبادل في القصد بين الفاعل والمتلقي هو الذي يجعل أي تصرف قولي أو عملي له سلطة غائية صريحة أو ضمنية؛ إذ تتعدى اللغة بذلك الوظيفة التقريرية المصورة للواقع لتكون أداة لصناعة هذا الواقع وتغييره"(غقاقلية، 2020م، العدد:3، ص.177).

أولا: السلطة الصريحة: وهذه السلطة قد تبدو غريبة في أخبار التكاذب، ذلك أنها –في غالبها– تقوم على الاتفاق المسبق على السياق الذي سيدور فيه الخطاب، ولكن نجد هذه السلطة المطلقة متمثلة في بعض أخبار التكاذب، وهذه السلطة قد تكتسب بأشكال متعددة، وهي تكون باتفاق مسبق؛ لأنَّها تخرق أهم قاعدة من قواعد الخطاب، وهي: قاعدة الكيف من مبدأ التعاون، التي تنص على: لا تقل ما تعتقد أنه غير صادق، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه (انظر: صحراوي، ط2005م، ص34)، ولكن خرق هذه القاعدة ليس ذا أهمية، ذلك أنَّ قانون التعاون ساري المفعول، بحسب الاتفاق، فأطراف الخطاب ستتعاون وفق قواعد اتفقوا عليها من قبل.

ومن استخدام السلطة المطلقة وفق الاتفاق السابق ما يُروى عن الأمير الذي عُرِف بأنَّه شغوف بالكذب، وقد جاءه أحد يرغب أنْ يكون من ندمائه، وقد أُخْبِرَ أمرَ هذا الأمير، وأنَّ عليه أنْ يصدِّقه في كل ما يقول، وقد أخذ في ذلك الفعل فصدَّقه في كل ما يقول إلى أن قال الأمير مرة: إنَّ لي عادة في كل سنة أنْ أطبخ قِدْرا كبيرة وقت ورود حُجّاج خراسان، وأدعوهم وأطعمهم جميعًا من تلك القدر الواحدة، فتحيَّر الفتى، وقال: أيُّ شيء هي هذه القدر: بادية العرب؟ دهناء تميم، بحر قلزم، فغضب الأمير وطرده، فعاد إليه الفتى وأعتذر بأنَّه كان في سُكْرٍ، ووعده بألا يعود، فأخذ الفتى إذا كذب الأمير صدَّقه، إلى أنْ جرى ذكر الكلاب الرَّبيبة والصغار، فقال الأمير: قد كان عندي منها عدّة في غاية الصغر، حتى إني لآمر بأن تُلْقى في المكحلة، وكان لي مُضْحِك أعبث به، فأمرت أنْ يكحل من تلك المكحلة إذا قام وسَكِر، وكان إذا أصبح وأفاق من سُكْره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينه ولا يقدر عليها لصغرها، عندها قام الفتى وقال: لا صبر لي على كلاب تنبح في أجفان العين، ثم فارق الأمير.

ففي هذا الخبر كانت السلطة مطلقة في يد الأمير، وقد علم الفتى ذلك، وهو مَنْ سمح بأنْ تكون السلطة في يد الأمير طمعًا في نيل العطاء؛ وهذا ما جعل الأمير يغضب منه ويطرده عندما لاحظ عدم تصديقه له في المرة الأولى.

وفي خبر الرجل مع رؤبة جعل صاحب الخطاب جائزة للمخاطَب، حيث قال له: "إن حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية" فهنا نجد أنَّ الرجل جعل السلطة في يده بأنْ وجَّه الخطاب إلى الوجهة التي يريد، وقد رَضِي رؤبة بأنْ يكون في منزلة المأمور وذلك طمعًا في الجائزة.

وكذلك في الخبر الثاني الذي رواه ابن حمدون الذي كان بين المدائني والتاجر، حيث قال في مطلعه: "قال المدائني: كان عندنا بالمدائن دِهْقَان يقال له دينارية، وكان خبيثًا، فقال له والي المدائن: إن كذبتَ كذبة لم أعرفها فلك عندي شراب ودراهم وغيرها"، وهذا الخبر يحمل نفس طريقة اكتساب السلطة في الخبر السابق له، إلا أنَّ تدخُّل الراوي هنا بوصف المخاطَب بالخبث يشي بمواصفات معينة للمخاطَب الذي يمكنه الانخراط في هذا المجال، فالدخول في خبر التكاذب الذي ينشأ بهذه الطريقة، ويكتسب السلطة المطلقة من المخاطِب، لا بُدَّ أنْ يحمل المخاطَب فيه صفات الخبث والدهاء لكي يكون قادرا على أنْ يسرح بخياله حتى يفوز بالعطاء.

وفي هذا النوع من أخبار التكاذب ذي السلطة المطلقة يكون مصدر التكاذب واحدًا، وهو المخاطِب، ودور المخاطَب هو التَّلقي فقط، والتصديق أو التكذيب، ومن هنا امتلك المخاطِب السلطة المطلقة، في حين نجد في الأخبار الأخرى أنَّ كلا طرفي الخطاب مشارك في صناعة خبر التكاذب.

والأصل في أخبار التكاذب الاشتراك في السلطة، ولكن عند خرق المخاطِب –الأمير في الخبر الأول، والرجل في الخبر الثاني والوالي في الخبر الثالث– هذه القاعدة لجأوا إلى الجائزة التي سيمنحونها إلى المخاطَب؛ لينجز الخطاب، ولو افترضنا عدم وجود الجائزة، لكنا نتوقع ألا يستجيب المخاطَب، فكل مخالفة لقواعد الخطاب تستلزم ما يسوّغها، أو الأمر الذي ألجأ إليها.

ثانيا: السلطة المشتركة: وهي الأصل في خطاب التكاذب، وهي سلطة مشتركة بين طرفي الخطاب، فأخبار التكاذب في إحدى صورها "فعل مشترك بين طرفين متساويين في إحداث النص وإنشائه وتنميته، فهو ليس نصًّا يحدث من مؤلف فرد ويتجه إلى جمهور مطلق، ولكنه نص يحدث بالمباشرة، مباشرة الخطاب ومباشرة الاستماع، وهذا الاستماع ليس استماعًا سالبًا واستهلاكيًّا، ولكنه شرط لحدوث النص وتناميه، مع تبادل الأدوار فيما بين الإنشاء والاستماع، فالمنشئ يصبح مستمعًا، والمستمع يتحول إلى منشئ في الوقت نفسه الذي تحدث فيه الحكاية"(الغذامي، ط1994، ص124).

ومن خلال ما سبق يتبيَّن أنَّ خطاب التكاذب مشترك ليس في بدئه، وإنما في تنميته كذلك، فكلا طرفي الخطاب يشتركان في إتمامه وإنجاحه، وهذا يتطلب أنْ يتبادل السلطة أطراف الخطاب، وأنْ يرضى طرفا الخطاب بهذا التبادل في السلطة، فنجد في الخبر الأول أنَّ راوي الخبر بدأه بعبارة تدل على موافقة طرفي الخطاب للدخول في هذا النوع من الخطاب، والرضا بقواعده وقوانينه التي من أهمها تبادل السلطة في الخطاب، فقال: "تكاذب أعرابيان"، بناءً على ما فهمه

من سياق الخبر.

وقد يؤثر تبادل السلطة في قوة الخطاب؛ لذا نجد أنَّ طرفي الخطاب في أخبار التكاذب قد لجآ "إلى مفهوم آخر للعلاقة مرتبط بالانفعال، وبالمواقف المتخذة إزاء المشارك التخاطبي الذي لا ينفك عمله على أنْ يكون مماثلًا لعمل المخاطب من حيث الاستنتاج والتأويل"(الحاج، ط2015م، ص. 59)، فنجده في الخبر يروى قصته بأنَّه خرج مرةً على فرس له، ويضيف قائلًا: "فإذا أنا بظلمة شديدة، فَيَمَّمْتُها حتى وصلت إليها، فإذا قِطَعٌ من الليل لم تَنْتَبه! فما زلت أحمل عليها بفرسي حتى أنْبَهْتها، فانجابت".

وينقلنا الراوي إلى استجابة المتلقي للخطاب، وهو الذي بنى خطابه بناءً على تلقيه الخطاب الأول، فقال: "لقد رميت ظبيًا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة، فعدل السهم خلفه، فتياسر الظبي، فتياسر السهم خلفه، ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه، فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه".

وهذا الانتقال فيه انتقال للسلطة، بأنْ يتحول المخاطَب إلى مخاطِب، ويتحول المخاطِب إلى مخاطَب، "والمبدع – هنا– يخاطب مبدعًا مثله، وفي هذا تغيير يتضمن تحديًا عميقًا لمفهومات نقدية وقرائية مثل مفهوم المؤلف ومفهوم المتلقي، فنحن هنا لا نشاهد تلك الثنائية القاطعة والفاصلة بين صانعي النصوص، إذ ليس لدينا مؤلف يختلف عن المتلقي، ذلك لأنَّ كل واحد منهما مؤلف ومتلقٍّ في آن واحد"(الغذامي، ط1994، ص125).

وعند تأمل الخطابين نجد أنهما اتخذا موضوعًا واحدًا وهو موضوع الصيد، الذي جعل المخاطب الثاني يجعل خطابه مرتكزًا على الصيد بناءً على تلقيه خطاب المخاطب الأول الذي كان عن الصيد، وهذا الاختيار له دوافعه التداولية، وكأنهما في مبارزة خطابية اتفقا ضمنًا أنْ تكون في موضوع موحد، حتى يتمكنا من إنجاز فعل التكاذب بأنجح وجه، كما "نلحظ في هذه الحكاية الإفراط في تصوير المساحات والمقادير والأحجام والأبعاد، فثمة حكايتان تشتركان في إنجاز خطاب الكذب، وتركز التكذبة الأولى على كثرة العدد وكبر المساحة، فتغلبها التكذبة الأخرى بقلة العدد وضخامة الحجم، وتتماثل الحكايتان في جعل شخصية أبي كل متكاذب شخصية محورية لحكايته، فيوغل الأول في تقديم أبيه مزارعًا خارق القدرة، مكَّنَته إحدى السنين من زراعة عدد من أشجار السَّلجم على مساحات ممتدة، فكان أنْ كبرت كل واحدة منها ضخمة مهيبة المنظر"(الرفاعي، 2022، مجلد: 5، ص.174).

وهنا نخرج بنتيجة أنَّ أخبار التكاذب التي تكون السلطة فيها مشتركة يرتبط الخبر الأول بالخبر الثاني؛ ذلك أنَّ المخاطب الثاني يخشى أن المخاطب الأول ينزعه سلطته على الخطاب، أو ألا يعترف بها، فهو يلجأ إلى ربط خطابه بالخطاب الأول، حتى يكون هو المخول له في خطابه، وهذا ما حصل في خطاب الرجلين عندما كذَّبه المخاطَب: "فقال صاحبه: ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال: السلجم الذي زرعه أبوك!"؛ لذا لازم المخاطِب التنازل عن السلطة للمخاطَب.

وهنا يمكن أنْ نطلق على السلطة المشتركة، السلطة الخفية؛ ذلك أنَّها لا تكون واضحة، وإنَّما تحدد من خلال قبول الانخراط في الخطاب، فخطاب التكاذب يقوم على إنشاء الخطاب أولًا من المخاطب الأول، وثانيًا: تلقي الخطاب من المخاطب الثاني، وثالثًا: الرد على الخطاب الأول، ورابعًا: تلقي الخطاب الثاني من المخاطب الأول، ويظهر ذلك في الخطاطة التالية:

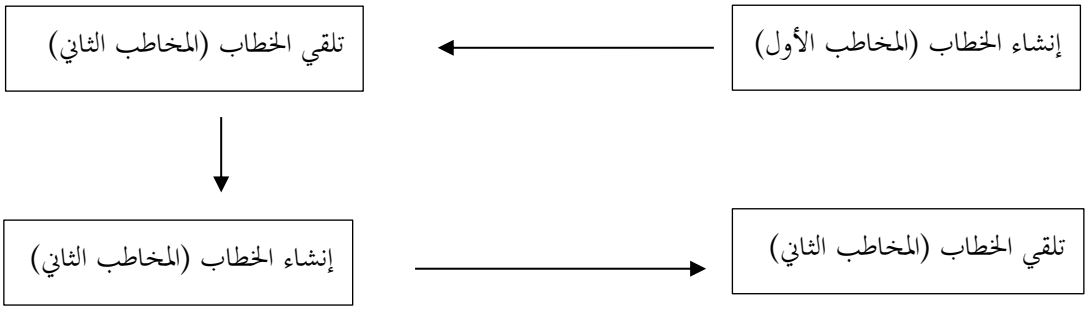

فعندما بدأ المخاطب الأول الخطاب، وقَبِله المخاطب الثاني، فقد امتلك المخاطب الأول سلطة على المخاطب الثاني، تتضمن وجوب الرد على خطابه، وكذلك تلقيه وتأويله وفق المبادئ التي يحتكم إليها هذا الفن، ومراعاة جميع قوانينه التي فيها خرق لقواعد الخطاب، فالمخاطبان "يقدمان حكاية واحدة ذات شطرين أو دورين"(الغذامي، ط1994، ص128)، ولا يحق لأحدهما –خاصة الثاني– عدم إنجاز الخطاب وإتمامه، ولو امتنع عن إتمام الخطاب فإنَّ هذا الامتناع يُخْرج الخطاب عن إطار التكاذب إلى الخبر العجائبي أو الكذب.

وكلما كانت الكفاءة التأويلية لدى أطراف خطاب التكاذب عالية ساهم ذلك في إنجاز فعل التكاذب، ذلك أن خطاب التكاذب يكتمل بالرد من الطرف الثاني في الخطاب فهو مطالب بالرد على الخطاب، وهذا الرد يستلزم الفهم والتأويل الجيد للخطاب الأول، وإلا تعثر إنجاز الخطاب؛ "فلا يمكن للمتلقي في أي حال من الأحوال استقبال الخطاب بصفة مثلى إلا إذا امتلك كفاءات تأويلية مماثلة لكفاءات المخاطب، وهنا يجدر الإلمام ببعض المحددات النفسية الخاصة بالمشاركين في الخطاب، على جانب الكفاءات الإيديولوجية والثقافية، دون إهمال للكفاءات اللسانية وشبه اللسانية، فهي كفاءات تعمل في تشابكها على تأويل الملفوظات وذلك بالانسجام مع عملية الإنتاج"(الحاج، ط2015م، ص. 329)، وأخبار التكاذب تتطلب كفاءة تأويلية خاصة متشعبة.

كما نجد استخدام حجة السلطة في تسويغ الموقف الخطابي، وهي: "التي تستعمل أفعال أو أحكام شخص أو مجموعة من الأشخاص باعتبارها وسيلة برهنة لمصلحة دعوى ما" (بيرلمان، وتيتكا، ط2023، ص.464)، وقد استعملت من جنس الخطاب نفسه، ففي خبر التكاذب الذي دار بين رجلين وكذَّب الأول صاحبه عندما قال له: "كان أبي اتخذ مرجلًا في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذًا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر! فقال صاحبه: ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال: السلجم الذي زرعه أبوك!" ويقصد به السلجم

الذي زرعه أبوه في بداية خبر التكاذب إذ قال: "كان أبي زرع سنة السلجم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب أرض"، فالمتحدث الثاني استخدم حجة السلطة، وهي قول الأول في تدعيم موقفه، ودفع تهمة الكذب عنه، بأنْ أخرجها مخرج التكاذب، وهي سلطة قوية، حيث استخدم قول الشخص نفسه الذي اتهمه بالكذب، وأثبت له صحة موقفه، فلا يمكن له إلا التسليم لهذه الحجة القاطعة التي اتكأ عليها.

والسؤال الذي نطرحه في نهاية هذا المبحث: ما دور السلطة في إنجاز خطاب التكاذب؟ خاصة إذا علمنا أنَّه خطاب أدبي، وليس خطابًا إخباريًّا أو طلبيًّا تتضح فيه السلطة بشكل واضح، وهذا ما أظهره تحليل الخطاب بحثًا عن السلطة فيه.

وبالنظر إلى سلطة الخطاب في أخبار التكاذب نجد أنَّ النوع الأول وهو السلطة المطلقة قد ساهمت بشكل كبير في تشكيل الخطاب؛ حيث إنَّ المخاطَب أخذ يتدرج في إلقاء تكاذيبه، فبدأ بقوله:

- "أبَق لي غلام يومًا، فاشتريت يومًا بطيخة، فلما قطعتها وجدته فيها".

ثم لما صدَّقه الرجل على قوله، وقال له: قد علمت، انتقل إلى مستوى آخر، فقال:

- "دبِر لي فرس فعالجته بقشور الرمان فنبت على ظهره شجرة رمان تثمر كل سنة".

فلو قارنا بين مستوى الخيال في الخبرين لوجدنا أنَّ الثاني أقوى وأشد، ذلك أنَّ الخبر الأول منقطع أي أنه وجد الغلام الذي أبق منه في البطيخة التي اشتراها، وانتهى الأمر هنا، ولكن في الخطاب الثاني جعل شجرة الرمان تنمو على ظهر الفرس، ولم يتوقف الأمر هنا، وإنما جعلها تثمر كل سنة ويجني هو ثمرها، ثم إن مستوى الخيال في الثاني أشد منه في الأول، وهذا كله بسبب السلطة التي امتلكها المخاطب الأول.

وكذلك الأمر في خطاب التكاذب ذي السلطة المشتركة، فمثلا نجد أنَّ المخاطب الثاني ينتج خطابه بناءً على خطاب الأول، ويحاول أنَّ يكون خطابه أقوى في الخيال أكثر من خطاب الأول؛ ذلك أنَّ السلطة في الخطاب اتضحت لديه، ويمكنه التحرك بأريحية في الخطاب، ويمتلك حجة يدفع بها لو اتهم بالكذب كما هو الحال في خبر صاحب المرجل.

4. المبحث الثالث: إستراتيجيات الخطاب في أخبار التكاذب الأدبي.

نظرًا إلى أنَّ أخبار التكاذب قائمة على الحوار والخطاب الشفهي المباشر، فلا بد لها من إستراتيجيات تخاطبية تسهم في التنظيم التخاطبي بين أطراف الخطاب، فإستراتيجيات الخطاب هي "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقا لما يقتضه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل"(الشهري، ط2024م، ص.122).

وعلى أطراف الخطاب إتقان استخدام تلك الإستراتيجيات حتى ينجح إنجاز فعل التكاذب، وأي خلل فيها يحول

دون نجاح إنجاز خطاب التكاذب، وخاصة أنَّه خطاب دقيق في مكوناته وأهدافه. ويتحدد اختيار إستراتيجية الخطاب وفق ثلاثة متغيرات سياقية، هي:

- البعد الاجتماعي بين المتكلم والسامع (العلاقة التماثلية).
- علاقة السلطة بينهما.
- القيود التي تفرضها ثقافة معينة على المرسل، ونوعية تلك القيود (الشهري، ط2024م، ص.174).

وجميع هذه المتغيرات السياقية كان لها أثر واضح في الإستراتيجيات الخطابية التي استخدمت في أخبار التكاذب؛ وذلك لتنوع الأفراد الذين قاموا بإنجازها، وتنوع العلاقات فيما بينهم.

ولمّا كان خطاب التكاذب يُعَدُّ خطابًا معقدًا -أي أنَّ المخاطِب يصبح مخاطَبًا، والمخاطَب يصبح مخاطِبًا-؛ كان لا بد من تحديد إستراتيجية تخاطبية تؤدي إلى فهم النصوص من قِبَل المشتركين في الخطاب، وهي إستراتيجية تعتمد على فهم السياق في المقام الأول، وهذا يدلنا على أهمية السياق في إنجاز خطاب التكاذب، وفهم السياق ينساق إلى كيفية التأويل، فتأويل خطاب التكاذب يكون تأويلًا أدبيًّا، وهذه كفاءة تداولية مُلْزم بها مَنْ يشارك في خطاب التكاذب، أمّا إذا فُقِدَت هذه الكفاءة أو لم تستخدم فإنَّ هذا يؤدي إلى فشل فعل التكاذب، يدلنا على ذلك خبر الفتى مع الأمير فعندما قال الوالي في المرة الأولى: "إنَّ لي عادة في كل سنة أنْ أطبخ قِدْرا كبيرة وقت ورود حجاج خراسان، وأدعوهم وأطعمهم جميعًا من تلك القدر الواحدة، فتحيَّر الفتى، وقال: أيُّ شيء هي هذه القدر: بادية العرب؟ دهناء تميم، بحر قلزم، فغضب الأمير، وطرده"، وهنا لم ينجح خطاب التكاذب؛ لأنَّ الفتى لم يرد حمله على المحمل الأدبي، حتى لو كان هذا مخالفًا لمقصد المتكلم، ذلك أنَّ المتلقي هو من يصنع قراءة النص، ومثل هذا حدث في المرة الأخرى، حينما فارق الفتى الأمير، "حين أنْ جرى ذكر الكلاب الرَّبيبة والصغار، فقال الأمير: قد كان عندي منها عدّة في غاية الصغر، حتى إني لآمر بأن تُلْقى في المكحلة، وكان لي مُضْحِك أعبث به، فأمرت أنْ يكحل من تلك المكحلة إذا قام وسَكِر، وكان إذا أصبح وأفاق من سُكْره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينه ولا يقدر عليها لصغرها، عندها قام الفتى وقال: لا صبر لي على كلاب تنبح في أجفان العين، ثم فارق الأمير". وهذا يشير إلى أنَّ المتلقي في خطاب التكاذب لا بد أنْ يكون على استعداد ورغبة في تلقي مثل هذا النوع من الخطاب، وإلا فشل الخطاب.

وبناءً على ما سبق تحديده من سياق أخبار التكاذب، والتعاقد على الخطاب، وتنوع السلطة، والقصدية فيه، أدى كل ذلك إلى عدم الالتزام بقواعد الخطاب التي تنساق على استخدام إستراتيجيات في الخطاب لا تناسبه في الظاهر، فالمخاطبان "يعمدان إلى خرق قاعدة الكيف في مبدأ التعاون عند جرايس؛ إذ تقتضي هذه القاعدة في أحد جزئيها أن "لا تقل ما تعتقد أنه كذب"؛ وعليه فإنَّ المرسل سيوجه الآلية اللغوية لتجسيد الكذب في إستراتيجية منتقاة هي الإستراتيجية المباشرة"(الشهري، ط2024م، ص.250).

أما الإستراتيجية داخل خطاب التكاذب فإنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسلطة في الخطاب، ولما تنوعت السلطة في أخبار التكاذب تَبِعَ ذلك تنوُّع الإستراتيجية، فلو نظرنا إلى السلطة المطلقة وشواهدها من أخبار التكاذب نجد أنَّ الإستراتيجية التوجيهية هي الطاغية على الخطاب فيها، وهي الإستراتيجية التي يرغب المرسل بواسطتها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنَّها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يُعَدُّ التوجيه فعلًا لغويًّا فحسب، بل يُعَدُّ وظيفة من وظائف اللغة التي تُعْنَى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي، إذ إنَّ اللغة تعمل على أنَّها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجيهات المرسل إليه وسلوكه(انظر: الشهري، ط2024م، ص.443).

ففي خطاب الرجل مع رؤبة بدأ الخطاب بقوله: "إنْ حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية"، فهنا نجد الحث على إنجاز فعل التكاذب من المخاطِب بتوجيه يُفْهَم منه الأمر؛ لذا رتَّب الثواب على الفعل، حيث إنَّ الرجل لا يملك سلطة تخول له استخدام الإستراتيجية التوجيهية المطلقة، فهو لجأ إلى الجائزة التي وضعها له، تخفيفًا لكسر قواعد التخاطب؛ إذ إنَّ الأصل أن يستخدم الإستراتيجية التضامنية هنا.

وحتى مع امتلاك السلطة المطلقة فطبيعة خطاب التكاذب لا تقبل الإستراتيجية التوجيهية المطلقةح لأنَّها مخالفة لأصل التخاطب، لذا نجد الوالي –وهو يملك سلطة مطلقة تخول له استخدام الإستراتيجية التوجيهية– إلا أنَّه لجأ إلى استخدام هذه الإستراتيجية بطريقة غير مباشرة "قال المدائني: كان عندنا بالمدائن دِهْقَان يقال له دينارية، وكان خبيثا، فقال له والي المدائن: إن كذبتَ كذبة لم أعرفها فلك عندي زِقُّ شراب ومسلوخٌ ودراهم".

فالوالي يملك أنْ يُصْدِرَ أمرًا صريحًا للتاجر بحكم وضعه الاجتماعي أنْ يُصَدِّقه في كل ما يقول، ولكن الأمر الذي جعله لا يفعل ذلك هو مخالفة قواعد التخاطب، فترك الخيار للمتلقي إنْ أراد إنجاز فعل التكاذب، وحقق الشرط الذي وضعه ظفر بالجائزة، وهذا ما حدث بعد محاولات عدة في نهاية الخطاب.

وقد تستخدم الإستراتيجية التوجيهية حتى في وجود السلطة المطلقة، ولكن غالبًا ما تكون بشكل غير مباشر، لا تظهر من خلال الخطاب، ذلك أنَّه عُقِد اتفاق مسبق، وهذا ما ظهر في خبر الفتى مع الأمير، فقبل أنْ يدخل الفتى في مجلس الأمير اشتُرِطَ عليه أنْ يُصدِّقه بما يقول، وقد فعل ذلك، فهنا الفتى حُمِلَ على أنْ يصدق الأمير، دون رغبته، لذا نجده لم يستطع إتمام هذا الأمر فعندما قال الأمير: "إنَّ لي عادة في كل سنة أنْ أطبخ قِدْرا كبيرة وقت ورود حجاج خراسان، وأدعوهم وأطعمهم جميعًا من تلك القدر الواحدة، فتحيَّر الفتى، وقال: أيُّ شيء هي هذه القدر: بادية العرب؟ دهناء تميم، بحر قلزم" غَضِبَ الأمير عليه وطرده، ثم عاد إليه، وفي المرة الثانية خرج الفتى بنفسه، عندما جرى ذكر الكلاب الرَّبيبة والصغار، فقال الأمير: قد كان عندي منها عدِّة في غاية الصغر، حتى إني لآمر بأن تُلْقى في المكحلة، وكان لي مُضْحِك أعبث به، فأمرت أنْ يكحل من تلك المكحلة إذا قام وسَكِر، وكان إذا أصبح وأفاق من سُكْره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينه ولا يقدر عليها لصغرها، عندها قام الفتى وقال: لا صبر لي على كلاب تنبح في أجفان

العين، ثم فارق الأمير.

وأخبار التكاذب التي قامت على الإستراتيجية التوجيهية كانت النهاية فيها إما الحصول على الجائزة كما في خبر رؤبة مع الرجل، والوالي مع التاجر، أو الخروج من الخطاب بعدم الرغبة في إتمامه كما فعل الفتى مع الأمير عندما قال: "لا صبر لي على كلاب تنبح في أجفان العين، ثم فارق الأمير".

كما نجد أنَّ أطراف التخاطب في أخبار التكاذب التي اعتمدت على الإستراتيجية التوجيهية تتشابه (الرجل/ رؤبة) (الوالي/ التاجر) (الأمير/ الفتى)، فلو تأملنا فيها نجد أنَّ أطراف التخاطب من مراتب اجتماعية مختلفة، وهذا يتضح في الأخيرين، أمّا الأول (الرجل/ رؤبة) فقد سار على غير الأصل في استخدام الإستراتيجية؛ ذلك أنه لم يتضح لنا الفرق الاجتماعي جليًّا، ولكن ما كان واضحًا هو أنَّ رؤبة هو الذي سمح للرجل باستخدام الإستراتيجية التوجيهية، والرجل سعى إليها بمنحه الجائزة لو تمكن من إنجاز فعل التكاذب، فنجد في مطلع الخطاب: "وقال رجل لرؤبة: إن حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية".

وأكثر ما يميز استخدام الإستراتيجية التوجيهية في أخبار التكاذب هو الوضوح، فالمتلقي يعلم سلفًا أنّ المتكلم سيقول كلامًا من وحي الخيال، وأنّ عليه تصديق ذلك الكلام، وقد اتفقت دواعي التصديق وهو الحصول على المنفعة المادية، بخلاف أخبار التكاذب التي تأسست على الإستراتيجية التضامنية، فقد كان الهدف هو المنفعة الأدبية، وإظهار القوة في الخيال؛ وهو ما جعل أخبار التكاذب التي اعتمدت على الإستراتيجية التضامنية أقرب من روح الأدب، ويدلنا على ذلك نهاية الخطاب في كل نوع، وهذا ما ظهر في خبر الرجلين الذي رواه المبرّد.

أما أخبار التكاذب التي تكون فيه السلطة مشتركة فتتنوع الإستراتيجيات داخل الخطاب الواحد، فيبدأ المتكلم باستخدام الإستراتيجية التلميحية وهي "الإستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، أو هي الإستراتيجية التي ينجز بها المرسل أكثر مما يقوله، فيتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، أو أن يعبر عن قصده بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق"(الشهري، ط2024م، ص.500).

فعندما يبدأ المخاطِب يؤسس كلامه على هذه الإستراتيجية معتمدًا في "أثناء إنتاج خطابه على توظيف ما لدى المرسل إليه من معرفة بالعالم، ومنها معرفته الثقافية"(الشهري، ط2024م، ص.499) فيبدأ بقوله: "خرجت مرة على فرس لي، فإذا أنا بظلمة شديدة، فَيَمَّمْتُها حتى وصلت إليها، فإذا قِطَعٌ من الليل لم تَنْتَبه! فما زلت أحمل عليها بفرسي حتى أَنْبَهَتُها، فانجابت" فهذا الخطاب ليس واقعيًّا ولا هدفه نفعيًّا، وإنَّما يهدف إلى المتعة الأدبية، ولو لم يعلم المخاطِب بأنَّ المخاطَب على استعداد لمثل هذا الخطاب، تلقيًا وتأويلًا، لما بدأ به، فكأنَّ في هذا الخطاب تلميحًا للمتلقي بالدخول فيه لإنجازه.

لذا نجد أنَّ أخبار التكاذب التي تنتمي إلى السلطة المشتركة تخرق قاعدة من قواعد مبدأ التأدب، وهي قاعدة

التعفف، التي تقتضي ألا تفرض نفسك على المخاطب(انظر: عبدالرحمن، ط1998م، ص.240). والذي خَوَّل للمخاطب خرق هذه القاعدة طبيعة خطاب التكاذب الذي يأتي على غير الأصل في الخطاب، وهو أنْ تكون صادقًا في كل ما تقول؛ لذا لا بُدَّ من أنْ تفرض نفسك على المخاطب، وتنتظر ردة فعله، فإن قَبِل الانخراط في هذا الخطاب يتم إنجاز فعل التكاذب بنجاح، وإنْ رفض ذلك فهذا يؤدي إلى الفشل في إنجاز خطاب التكاذب، ويتحول الخطاب إلى جهته الأصل، وهو استنكار هذا الفعل.

وإلى جانب استخدام الإستراتيجية التلميحية يظهر استخدام الإستراتيجية التضامنية في الخطاب من قِبَل المتلقي وهي "الإستراتيجية التي يحاول المرسل أنْ يجسِّد بها درجة العلاقة بالمرسل إليه ونوعها، وأنْ يُعَبِّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما"(الشهري، ط2024م، ص.358)، ومجمل مقتضاها "أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يُبْرز به دلالته القريبة، ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به"(عبدالرحمن، ط1998م، ص.223)، ويظهر ذلك في رد المتلقي الأول في الخبر الذي أورده المبرّد عندما قال: "لقد رميت ظبيًا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة، فعدل السهم خلفه، فتياسر الظبي، فتياسر السهم خلفه، ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه، فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه".

فالمخاطِب ألقى الكلام ووجّهه بأسلوب الخبر، دون أنْ يملي على المتلقي أي شيء، وكان بإمكان المتلقي عدم الدخول في خطاب التكاذب، أو أنْ يرفض الدخول فيه ويقطعه، وهنا استخدم الإستراتيجية التلميحية، واستجاب المتلقي لإنجاز هذا الخطاب، فردَّ على الأول بنفس الخطاب، وهنا استخدم الإستراتيجية التضامنية؛ ولذا نجد أنَّ أغلب أخبار التكاذب التي اسْتُخْدِمت فيها الإستراتيجية التضامنية قد نجح فيها المخاطبان في إنجاز خطاب التكاذب على أكمل وجه، ذلك أنَّه "من شأن الخطاب بهذه الإستراتيجية أنْ يساوي بين درجات أطرافه، وأنْ يقلّص المسافات ويقلل الدرجات؛ وهو ما يضيق معه إطار الفرقة وتنتفي به عوامل التشتت، حتى تصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضل منها في بدايته"(الشهري، ط2024م، ص.359).

ومثل ذلك كان خبر التكاذب الذي جاء فيه: "وقال رجل: كان أبي زرع سنة السلجم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب أرض! فقال الآخر: كان أبي اتخذ مرجلًا في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذًا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر! فقال صاحبه: ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال: السلجم الذي زرعه أبوك!"

ويظهر استخدام الإستراتيجية التلميحلية منذ مطلع الخطاب عندما سمح الرجل لنفسه أنْ يلقي مثل هذا الخبر الذي يرتكز على اللاواقع، كاسرًا بذلك أهم قواعد الخطاب، وهي الصدق في القول، وتظهر الإستراتيجية التضامنية في هذا الخبر في تكذيب الرجل له، مستفهمًا عمّا يمكن أن يُطْبَخ في ذلك المرجل؟ ثم استخدم الرجل الثاني تلك الإستراتيجية

بأن رد عليه: "السلجم الذي زرعه أبوك!".

وعموما يختلف استخدام الإستراتيجيات التخاطبية في خطاب التكاذب وفق المسوغات التالية:

- مدى التشابه/ الاختلاف الاجتماعي.
- مدى تكرار الاتصال.
- مدى امتداد المعرفة الشخصية.
- درجة التآلف، أو كيفية معرفة طرفي الخطاب لكل منهما.
- مدى الشعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التفكير.
- الأثر الإيجابي أو السلبي(انظر: الشهري، ط2024م، ص.361).

وهذا المسوغات نجد أنَّها أكثر ظهورًا في أخبار التكاذب التي اعتمدت على السلطة المشتركة، فالطبقة الاجتماعية للمتخاطبين واحدة، ولو اختلفت الطبقة الاجتماعية لما تجرأ أحدهما بأنْ يمارس التكاذب مع الطرف الآخر مخالفًا بذلك أهم قواعد التخاطب. وكذلك مدى المعرفة الشخصية، فلو أيقن المخاطِب أنَّ صاحبه لن يتجاوب معه في التكاذب لما بدأ الخطاب. وكذلك درجة التآلف، فلا نتصور أنْ يكون تكاذب بين شخصين معرفتهما سطحية، أو أنَّهما من اللقاء الأول يمارسان التكاذب، وهذا يؤكد تكرار الاتصال بينهما. وكذلك يشترك المخاطبان بتطابق الهدف، وهو إنجاز التكاذب، وهذا ما يؤكده تفاعل المخاطَب مع المخاطِب، وهما يسعيان إلى إحداث أثر إيجابي في هذا الفعل.

وكذا نجد حضورًا لإستراتيجية الإقناع؛ ذلك أنَّ الخطاب أي خطاب يسمح بتداخل الإستراتيجية متى دعت الحاجة إلى ذلك، فظهرت إستراتيجية الإقناع جليةً في خبر الرجل الذي أنكر قول صاحبه، قائلًا: "ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟" فما كان من المتحدث إلا أن بدأ باستخدام الحجة لإقناع صاحبه بقوله: "السلجم الذي زرعه أبوك!"، فانتقل من إستراتيجية التضامن إلى الإقناع، وما دعاه إلى ذلك هو موقف المتلقي من قوله، ولو فهم كلامه على ما أراد لما لجأ إلى استخدام هذه الإستراتيجية.

وهنا يمكننا القول إنَّ إستراتيجية الإقناع ليست إستراتيجية أصيلة في خطاب التكاذب، وإنَّما قد يلجأ إليها المخاطِب بحسب الحاجة، وهذا يدل على مرونة أخبار التكاذب؛ إذ سمحت باستخدام إستراتيجيات متعددة في الخطاب الواحد، وعمومًا يمكننا تلمس إستراتيجية الإقناع في محاولة منجز الخطاب أن يقنع الطرف الآخر بما يفعله.

5. المبحث الرابع: قصدية الخطاب في أخبار التكاذب الأدبي.

القصدية إحدى أقطاب الكلمة المتلفظ بها إلى جانب الدلالة، فكل لفظة لا بُدَّ أنْ تكون لها دلالة، ولكن دلالتها تكون قاصرة عن فهم المراد، إذا لم يدعمها جانب القصد، "فبدون معرفة المقاصد لا يمكن أنْ يستدل بكلام المتكلم على ما يريد؛ لأنَّ المواضعة، وإنْ كانت ضرورية لجعل الكلام مفيدًا فهي غير كافية؛ إذا لا بُدَّ من اعتبار المتكلم: أي

قصده"(الجابري، ط2009م، ص.69).

هذا إذا تحدثنا عن الكلمة، أمّا إذا انتقلنا إلى الخطاب فإننا نجد القصدية –بمفهومها الفلسفي العميق– لا تنفك عن أي خطاب، مهما كان غرضه أو الهدف منه، يقول طه عبدالرحمن: "نعلم أنَّ اللغة هي المجال الذي تنكشف فيه القصدية المقرونة بالتواصل بأجلى مظاهرها، وما دامت الحجة لا تفارق اللغة، فإنَّها تنطوي على أقوى مظهر للقصدية"(ديك، ط2000م، ص.259). والقصدية –كما أنَّها أصل في عملية الإنتاج– هي أصل في التأويل "فالعلم بالمقاصد يغدو ضرورة أساسية في تحقيق الخطاب أغراضه، وإيصال المتكلم مراده إلى سامعه، بل إنَّ متلقي الخطاب بما أنه هو العنصر المقصود بخطاب المتكلم لا يقدر على ممارسة فعل التأويل ما لم يكن عارفًا بمقاصد المتكلم"(بارة، ص.2000).

ولكن وضوح القصدية يختلف من خطاب إلى خطاب، ومن أظهر ما تكون القصدية وضوحًا وظهورًا في خطاب التكاذب، ذلك أنَّ القصد فيها على غير ما يُعتاد في خطاب الناس، فالأصل في الخطاب أنْ يُبْنى على قاعدة الكيف، المنبثقة من مبدأ التعاون عند جرايس، وهي التي يُلْتَزَم فيها الصدق وعدم الكذب، إلا أنَّ أخبار التكاذب جعلت من الكذب هو القصد؛ لذا أصبح القصد في هذه الأخبار جليًّا، وهذا الخرق للقاعدة الأساسية في الخطاب سوَّغه الاقتضاء التخاطبي(انظر: إسماعيل، 2007م، ص.56)، وهنا الخرق جاء علنيًّا ومقصودًا من أجل إنجاز هذا الخطاب.

ولخرق هذه القاعدة الأساسية في الخطاب، لا بُدَّ من اتخاذ إجراءات تمهيدية تسبق إلقاء الخطاب، على نحو يضمن انسيابه ويحول دون تعثره؛ وذلك بناءً على أنَّ "كل تواصل مؤسس على اللغة أنَّه فعل قصدي، وباعتباره كذلك ينبغي على الذات المفكرة (المتحدث أو الكاتب) أن تعقد علاقة مع متلقيها"(الحاج، ط2015م، ص. 260)، ولا يشترط ظهور تلك التعاقدية، والدخول في الخطاب يُعَدُّ قبولًا من المخاطَب، وقد ظهر التعاقد في أخبار التكاذب في شكلين رئيسين، هما:

الأول: التعاقد الصريح، ويظهر التعاقد الصريح في الخطابات التي توضح قصدية الخطاب قبل الدخول فيه، وعند قبول كلا الطرفين للقصدية من الخطاب التي تهيئ لسياق التكاذب، وهذا التعاقد الصريح يكون نابعًا صراحة من الخطاب نفسه، وهذا ما كان في خبر الرجل مع رؤبة، فقد حدد القصدية في مطلع الخطاب: "إن حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية"، عندها بدأ رؤبة بالكلام، والانخراط في الخطاب، فهذا دليل منه على قبول التعاقدية على الشرط الذي وضعه الرجل.

وكذلك في خبر التاجر مع والي المدائن، عندما قال له: "إن كذبت كذبة لم أعرفها فلك عندي زِقُّ شراب ومسلوخٌ ودراهم"، بعدها بدأ التاجر في الخطاب، وهذا دليل قبول التعاقد على التكاذب.

وهذا التعاقد هو تعاقد على التكاذب، والتكاذب يكون من طريق الإخبار "فهدف الخطاب الظاهر هو الإخبار،

وهو خطوة ضرورية لإنجاز الهدف الكلي عند كل من الأعرابيين، والهدف الكلي هو إبراز الذات بالقدرة على الصنعة اللغوية، ليس إلّا، ولم يريا دليلًا على هذه القدرة أقوى من القول الكذب، بموجب عقد بينهما واتفاق، والكذب في هذا السياق ليس الكذب ذا الصفة الأخلاقية السلبية الذي يضاد فضيلة الصدق، فهما لا يعتمدان على مؤهلات من خارج الخطاب، وإنَّما الكذب صنعة لغوية ميدانها الخطاب، يمارسه كل منهما باعتباره مرسلًا" (الشهري، ط2024م، ص.250).

الثاني: التعاقد الضمني، وهذا التعاقد لا يشار إليه في الخطاب، ولكن يظهر إمّا بعدم الاعتراض، أو الاعتراض وعند التذكير بقصدية الخطاب لا ينكر المخاطب ذلك. وعدم الاعتراض على الخطاب يشيء بالرغبة في الدخول فيه، وهذه الرغبة هي أحد أركان القصدية، يقول سيرل موسعًا معنى القصدية: "والقصد بالمعنى العادي هو مجرد صورة واحدة من القصدية، بالإضافة إلى الاعتقاد، والرغبة، والأمل، والخوف، وهلم جرا"(انظر: إسماعيل، 2007م، ص.56).

ففي خبر التكاذب: "وقال رجل: كان أبي زَرَعَ سنةً السَّلْجَم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريبَ أرض. فقال الآخر: كان أبي اتخذ مِرْجلًا في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذًا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر. فقال صاحبه: ما أكذبك! أيُّ شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال: السَّلْجَم الذي زرعه أبوك"، عندما أنكر المخاطب الأول كلام صاحبه ذكَّره بالسياق الذي يعرف من خلاله قصدية الخطاب، ولم ينكر عليه؛ ذلك أنَّ الأول قَبِل الخطاب، وفهم أنَّ المخاطب الأول يقصد إنجاز فعل التكاذب.

والقصد له أهمية في تأويل أي خطاب، وتظهر هذه الأهمية بشكل كبير في أخبار التكاذب، فأخبار التكاذب قائمة على الخيال، وبناء قصة الخبر على اللاواقع، بمعنى أنه لا يمكن حدوث هذا الخبر، والقصد من أخبار التكاذب هو مبارزة فنية، بمعنى التحدي في قوة الخيال لدي المخاطبين؛ لذا "لن يكون محتوى القضية اللغوي هو معيار الصدق والكذب، بل تكون إرادة المرسل هي المعيار"(الشهري، ط2024م، ص.282) من هنا جاءت أهمية القصد في أخبار التكاذب.

والقصدية في أخبار التكاذب هي التي تجعله يخرج عن نطاق الكذب، وتسمح للمتحدث أنْ يبحر في خياله، ويرى ستراوسن وفقًا "لواضعي نظريات القصد الاتصالي فإنَّه من المستحيل تقديم تفسير ملائم لمفهوم المعنى دون الرجوع إلى ما لدى المتحدثين من مقاصد موجهة إلى المستمعين، وهي مقاصد من نوع معقد، إذ إنَّ المعاني المعينة للكلمات والجمل هي بلا شك تتعلق بالقواعد والاتفاقات المتواضع عليها بين المتعاملين باللغة، ولكن الطبيعة العامة لهذه القواعد والمواضعات يمكن فهمها بصورة كلية فقط بالرجوع إلى مفهوم القصد الاتصالي" (جاب الله، ط2014م، ص.44).

ومن هذا نستنتج أنَّ القصدية في الخطاب هي التي خوَّلت لأطراف الخطاب احترام القواعد التداولية، والتأويلية، فعندما يعلم كل منهما قصد الآخر من خطابه يكون التأويل وفق تلك القصدية، وفي حال عدم التعامل مع الخطاب وفق القصدية فإنَّ هذا يحتم فشل الخطاب، وخروجه عن التكاذب إلى الكذب أو الاستهزاء وعدم التصديق، فكل

خطاب "يتضمن الدخول في عملية التواصل الكلامي فكرة أننا نحترم قوانين اللعبة، ولا يتحقق ذلك بعقد تصريحي، ولكن باتفاق ضمني، أو بمشاركة جوهرية مع النشاط المنطوق"(الحاج، ط2015م، ص. 260).

ففي خبر رؤبة مع الرجل، نجد الرجل وجَّه خطابه إلى رؤبة فقط: "وقال رجل لرؤبة: إن حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية"، فالرجل هنا هيأ لرؤبة القصدية، وحددها له سلفًا بأنْ جعل له جائزة، فتكون قصدية الخطاب هنا السعي إلى عدم تصديق الرجل لحديث رؤبة؛ لذا استخدم رؤبة حيلة ذكية في إدارة الحوار، وذلك بناءً على دراسة وضعه، فعلم أنَّ الرجل مستعد لتأويل الخطاب بناءً على القصد الذي وضعه له أولًا، فجاء بأحاديث من واقع الخيال، ولكن حوَّل الخطاب بعد ذلك بأنْ ذكر ما يمكن وقوعه، فكذَّبه الرجل، وفاز رؤبة بالجائزة.

وهنا تظهر أقوى معالم القصدية في الخطاب، يقول فان دايك: "ينبغي أنْ يتخذ المتكلم قراره، ويهيئ مقاصده بالنظر إلى ما يفعله المخاطب أو يعمله، أي أنَّ المتكلم يزوّر في نفسه كلامًا مخصوصًا أوّلًا، ثم يحدد محتواه الدلالي الدقيق، ثم بعد ذلك يتعين عليه فقط أنْ يضع الصورة التركيبية الصرفية والفونولوجية والنطقية لذلك المحتوى على معنى أنَّ توجيه الأفعال الدنيا إنَّما تصدر عن المرتبة العليا للأفعال المجتمعية""(ديك، ط2000م، ص.264).

وكما أنَّ القصدية التواصلية تؤثر في الأفعال الكلامية فعلاقة" القصدية التواصلية الكلامية بالأفعال الكلامية تؤكد أنَّ الفعل الإنجازي يؤخذ عندما يكون مفهومًا، ويكون مفهومًا عندما يؤخذ بصفة جيدة، بمعنى أنَّه يؤخذ لما هو في ذاته: هل هو أمرٌ أم وعدٌ أو تحذير، ولا يتحقق هذا الفعل إلا إذا أخذ جيدًا من قبل المتلقي، ودون سوء فهم عندما يتعلق الأمر بالقوة الإنجازية"(الحاج، ط2015م، ص. 254)، فلا يمكن فهم الأفعال الكلامية في أخبار التكاذب إلا في حال كون المتلقي فهم قصد المرسل، وهذا يظهر أكثر وضوحًا في قوله الرجل لمخاطبه: "ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل"، فكأنَّ الرجل لم يفهم قصد المخاطب من خطابه –سواء عن قصد أو غير قصد–؛ لذا فسر الأفعال الإنجازية في كلامه تفسيرًا يخالف قصد المخاطب، فما كان من المخاطب إلا أنْ ذكَّره بما قاله سابقًا: "السلجم الذي زرعه أبوك"، وهنا أقرَّ المتلقي وفهم القصد من الخطاب.

أما إذا تحدثنا عن القصدية داخل اللغة التي كوَّنت أخبار التكاذب، فنجد أنَّ أخبار التكاذب قد اعتمدت على الخيال، بل المبالغة في الخيال، إلى حد الخروج عن الواقع، والممكن الحدوث؛ فلا ينجز خبر للتكاذب إلا بأخبار لا يمكن حدوثها، بقدر بُعْدِ منجز الخطاب عن الواقع يكون نجاحه في إنجاز فعل التكاذب، وقد كان للقصدية دور في تأويل الكلام، ذلك أنَّ "مبدأ القصدية ومقتضاه أنَّه لا كلام إلا مع وجود القصد، وصيغته هي: الأصل في الكلام القصد، ومعلوم أنَّ القصد من القول هو الذي يورث استلزاماته الصبغة السياقية أو المقامية" (عبدالرحمن، ط1998م، ص.203).

وهنا نستشف أهمية السياق الثقافي والمعرفي لإنجاز خبر التكاذب؛ إذ يجب في خبر التكاذب المبالغة إلى حد عدم

التصديق، وعدم إمكانية الوقوع، فمثلًا لو أخذنا الخطاب الثاني من خبر التكاذب الذي ردّ فيه المخاطب بقوله: "لقد رميت ظبيًا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة، فعدل السهم خلفه، فتياسر الظبي، فتياسر السهم خلفه، ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه، فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه"، ففي سياقنا الحاضر لا يصلح، لإمكانية حدوث مثل هذا الأمر، ولكنه كان خارجًا عن الواقع في عصر إنجاز الخطاب.

وهذا ما كان واضحًا في أخبار التكاذب، فقد كان المتلقي مستعدًّا لتلقي خبر يعتمد على اللاواقع، ففي الأخبار التي حصل الاتفاق على سياقها قبل البدء في عملية إنتاج الخطاب، يكون المتلقي قد عرف قصد المتكلم الأول، وهذا ما يظهر في خبر رؤبة مع الرجل، وذلك عندما طلب منه الرجل أن يحدثه حديثًا لا يصدّقه عليه، ووضع له جائزة ثمينة، تحفيزًا منه على تجويد خطابه، فهنا كان القصد واضحًا من الخطاب، وهو المبالغة في الخيال، والإتيان بأخبار لا يمكن تصديقها؛ لعدم إمكانية وقوعها، وكذلك الأمر في خبر الوالي مع التاجر.

أما أخبار التكاذب التي ليس فيها اتفاق سابق على السياق الذي من خلاله يمكن تحديد القصد، فإنَّ المخاطِب يفهم قصد المتكلم من خلال الخبر غير الواقعي الذي قاله، والمخاطَب هنا يكون أمام خيارين:

الأول: التعامل مع هذا الخبر والرد عليه بمثله، وهنا يكتمل خبر التكاذب، نحو الخبر: "قال رجل: كان أبي زرع سنة السلجم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريبَ أرض! فقال الآخر: كان أبي اتخذ مرجلًا في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذًا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر! فقال صاحبه: ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال: السلجم الذي زرعه أبوك!"

الثاني: السكوت عن الخبر وعدم الانخراط في الخطاب، وبهذا يخرج هذا الخبر عن أخبار التكاذب إلى الخبر العجائبي؛ ذلك أنَّ المخاطِب واحد، والمخاطَب واحد، ولم تحصل عملية التحول والتفاعل والتواصل، بأنْ يصبح المرسل متلقيًا، والمتلقي مرسلًا، فأخبار التكاذب لا بد فيها من "تشارك بين المتلقي والسارد؛ إذ يتحول المتلقي مرة إلى سارد ومرة أخرى إلى متلق، أي أنَّ أدوار التلقي تتبادل، ولعل هذا هو الأصل في التكاذب، فهو ليس كذبًا من طرف واحد، وإنما هو تفاعل يتأتى من أطراف عدة"(الكعبي، ط2005م، ص.48). ومثل هذا ما نجده في خطابات متعددة كثيرة، منها ما رواه المبرّد قال: "ومن ذلك ما يحكون في خبر لقمان بن عاد، فإنهم يصفون أنَّ جارية له سئلت عما بقي من بصره، لدخوله في السن؟ فقالت: والله لقد ضَعُفَ بصره، ولقد بقيت منه بقية، إنَّه ليفضل بين أثر الأنثى والذكر من الذَّرِّ إذا دبَّ على الصفا" ثم علَّق المبرّد على هذا الخبر بقوله: "في أشياء تشاكل هذا من الكذب"(المبرّد، ت285، ص. 154/2).

6. الخاتمة

بعد تناول خطاب التكاذب في الأدب العربي من منظور تداولي، يكون البحث قد بلغ هدفه في تحليل الظاهرة ضمن سياقها التواصلي، وقد أتاح هذا المنهج الكشف عن أبعادها التداولية ووظائفها الخطابية، وفيما يلي أبرز النتائج التي

توصّل إليها البحث:

- أن أخبار التكاذب الأدبي نوع أدبي مستقل يختلف عن الخبر العجائبي وعن الكذب.
- قلة رواية أخبار التكاذب الأدبي في مدونات التراث الأدبي، وذلك لأسباب متعددة.
- ارتكز خطاب التكاذب الأدبي على أسس خطابية محددة وفق الآتي:
  - الاعتماد على المشافهة.
  - الاعتماد على الحوار.
  - تحديد السياق في الخطاب.
  - وضوح القصدية في أخبار التكاذب.
  - ظهور السلطة في أخبار التكاذب.
- اعتمد خطاب التكاذب الأدبي على إستراتيجيات خطابية متعددة في الخطاب الواحد، وهي:

  أولا: الإستراتيجيات الأصلية:
  - الإستراتيجية التوجيهية.
  - الإستراتيجية التلميحية.
  - الإستراتيجية التضامنية.

  ثانيا: الإستراتيجيات الفرعية:
  - إستراتيجية الإقناع
- أن أخبار التكاذب من ناحية تحديد السياق تأتي على نمطين:
  - المتلقي يحدد السياق من خلال معطيات الخطاب.
  - تحديد السابق للسياق من قبل المخاطبين.
- تنوعت السلطة في أخبار التكاذب ما بين السلطة المطلقة التي تكون لطرف واحد في الخطاب، أو السلطة المشتركة التي يتداولها المخاطِب والمخاطَب.
- بناءً على تنوع السلطة في خطاب التكاذب، يمكن تقسيمها إلى قسمين:
  - خطاب بسيط: وهو الذي يكون المنتج فيه واحدًا وكذلك المتلقي، وهذا يظهر في السلطة المطلقة.
  - خطاب معقد: وهو الذي يتحول فيه المخاطِب إلى مخاطَب والمخاطَب إلى مخاطِب، وهذا يظهر في السلطة المشتركة.

- أنَّ أخبار التكاذب تعتمد على الحوار؛ لذا يجب على طرفي الخطاب في أخبار التكاذب أنْ يكونا على قدر عالٍ من الكفاءة التأويلية والتداولية.
- أنَّ خطاب التكاذب الأدبي يقوم على الوظيفة التواصلية والأدبية معا.

مراجع البحث

ابن حمدون، محمد بن الحسن. (ت 562هـ، 1996)، التذكرة الحمدونية، (ط1) (إحسان عباس، وبكر عباس، تحقيق)، دار صادر، بيروت.

ابن سينا، الحسين بن أحمد. (ت هـ، 1953)، فن الشعر من كتاب الشفاء، (عبد الرحمن بدوي، تحقيق)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الآبي، منصور بن الحسين. (ت 422هـ، ط1997) نثر الدرر، (ط1)، (مظهر الحجي، تحقيق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

إسماعيل، صلاح. (2007) نظرية جون سيرل في القصدية، دراسة في فلسفة العقل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.

الأصفهاني، الراغب. (ت 502هـ، 2019) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (ط1)، (رياض عبدالحميد مراد، تحقيق)، دار صادر، بيروت.

بارة، عبدالغني، (2015) الأساس اللغوي في فهم القرآن لدى علماء الأصول، المجلس الدولي للغة العربية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي.

بيرلمان، شاييم، تيتكا، لوسي. (2023) المُصَنَّف في الحجاج، الخطابة الجديدة، (محمد الولي، ترجمة)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا.

جاب الله، السيد عبد الفتاح. (2014)، فلسفة اللغة والمنطق، دراسة في فلسفة ستراوسن، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.

الجابري، محمد عابد. (2009) بنية العقل العربي، (ط9)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

الجاحظ، أبو عمرو. البيان والتبيين، (عبد السلام هارون، تحقيق) دار الجيل، بيروت.

الحاج، ذهيبة حمو. (2015) التداولية واستراتيجية التواصل، (ط1) رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

الحميري، عبدالواسع. الخطاب والنص المفهوم العلاقة السلطة، (ط2) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

خطابي، محمد. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (1991)، المركز الثقافي العربي، بيروت.

دايك، فان. (2000) النص والسياق، (عبدالقادر قنيني، ترجمة) أفريقيا الشرق، المغرب.

الرشيد عبدالله بن سليم. (2015) تنوَّرتنها من أذرعات، دراسات في الشعر تليده وطريفه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

الرفاعي، محمد المهدي. تكاذيب الأعراب والجنس الأدبي، قراءة في المقترح النقدي عند عبدالله الغذامي، (2022) مجلة إسطنبول للدراسات العربية، اسطنول، العدد 2.

سبيربر، دان، وولسون ديدري. (2016) نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، (هشام إبراهيم الخليفة، ترجمة)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

السماعيل، عبدالرحمن بن إسماعيل. (1422) الغذامي الناقد، قراءة في مشروع الغذامي النقدي، مؤسة اليمامة الصحفية، الرياض.

الشهري، عبدالهادي بن ظافر. (2024)، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، (ط3)، دار رقيم، الرياض.

صحراوي، مسعود. (2005) التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت.

عبدالرحمن، طه. (1998) اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

الغذامي، عبدالله. القصيدة والنص المضاد، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1994م.

الغذامي، عبدالله. (1999)، حكاية سحَّارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

غقاقلية، وهيبة. الفعل الكلامي وسلطة التلفظ في فلسفتي الفعل والعمل، (2020) مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، العدد: 3.

الكعبي، ضياء. (2005) السرد العرب القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت.

المبرَّد، محمد بن يزيد. (ت 285، ط. 1997) الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، القاهرة: دار الفكر العربي.

السجلماسي، أبو محمد القاسم. (ت: 704، ط1998) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، ط1، الرباط: مكتبة المعارف.

المراكشي، ابن البناء. (ت هـ،1985)، الروض المريع في صناعة البديع، (رضوان بنشقرون، تحقيق)، دار الكتب

العلمية، بيروت.

مفتاح، محمد. (1990) مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

الناجي، سعيد. (2000) السخرية والفرجة في الأدب العربي، تكاذيب الأعراب، (مجلة البيان، الكويت) العددان: 358، 359.

نصار، ناصف. (2001) منطق السلطة، مدخل إلى فلسفة الأمر، (ط2)، دار أمواج، بيروت.

الولي، محمد السياق. (يوليو، 2007) إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء، العدد: 25، يوليو 2007م.

يول، جورج التداولية. (2010) (قصي العتابي، ترجمة)، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط

‘Abd-al-Raḥmān, Ṭāhā. (1998). *al-lisān wa-al-mīzān* [in Arabic]. al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’.

al-Ābī, Manṣūr ibn al-Ḥusayn. (DOD 422 AH, 1997 AD). *nathr al-Durar* [in Arabic] (Maẓhar al-Ḥajjī, codicologist) (ED.1). Manshūrāt Wizārat al-Thaqāfah, Dimashq.

al-Aṣfahānī, al-Rāghib. (DOD 502 AH, ED. 2019 AD). *Muḥāḍarāt al-Udabā’ wa-muḥāwarāt al-shu‘arā’ wa-al-bulaghā’* [in Arabic], (Riyāḍ ‘Abd-al-Ḥamīd Murād, codicologist) (ED. 1). Dār Ṣādir, Bayrūt.

al-Ghadhdhāmī, ‘Abd Allāh. (1994). *al-qaṣīdah wa-al-naṣṣ al-muḍādd* [in Arabic], (ED.1). al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Bayrūt.

al-Ghadhdhāmī, ‘Abd Allāh. (1999). *Ḥikāyat sḥḥārh* [in Arabic]. al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’.

al-Ḥājj, Dhahabīyah Ḥammū. (2015). *al-Tadāwulīyah wa-istirātījīyat al-tawāṣul* [in Arabic] (ED. 1). ru’yah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Qāhirah.

al-Ḥimyarī, ‘bdālwās‘. (N. D.). *al-khiṭāb wa-al-naṣṣ al-mafhūm al-‘alāqah al-Sulṭah* [in Arabic] (ED. 2). al-Mu’assasah al-Jāmi‘īyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt.

al-Jābirī, Muḥammad ‘Ābid. (2009). *Binyat al-‘aql al-‘Arabī* [in Arabic] (ED. 9). al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’.

al-Jāḥiẓ, Abū ‘Amr. (N. D.) *al-Bayān wa-al-tabyīn* [in Arabic] (‘Abdussalām Hārūn, codicologist). Dār al-Jīl, Bayrūt.

al-Ka‘bī, Ḍiyā’. (2005). *al-sard al-‘Arab al-qadīm, al-ansāq al-Thaqāfīyah wa-ishkālīyāt al-ta’wīl*

[in Arabic]. Dār al-Fāris lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt.

al-Marrākushī, Ibn al-binā’. (1985). *al-Rawḍ almry‘ fī ṣinā‘at al-Badī‘* [in Arabic] (Riḍwān Binshaqrūn, codicologist). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.

Almubarrad, Muḥammad ibn Yazīd. (DOD 285 AH, ED. 1997 AD). *al-kāmil fī al-lughah wa-al-adab* [in Arabic], (Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, codicologist) (ED. 3). al-Qāhirah, Dār al-Fikr al-‘Arabī.

al-Nājī, Sa‘īd. (2000). al-Sukhrīyah wālfrjh fī al-adab al-‘Arabī, tkādhyb al-A‘rāb. [in Arabic]. *Majallat al-Bayān*, al-Kuwayt (358, 359)

al-Rashīd, ‘Abd Allāh ibn Salīm. (2015). *tanawwartuhā min adhr‘āt, Dirāsāt fī al-shi‘r talīdihi waṭarīfihi* [in Arabic]. al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Dār al-Bayḍā’.

al-Rifā‘ī, Muḥammad al-Mahdī. (2022). takādhyb al-A‘rāb wa-al-jins al-Adabī, qirā’ah fī al-muqtaraḥ al-naqdī ‘inda Allāh al-Ghadhdhāmī [in Arabic], *Majallat Isṭanbūl lil-Dirāsāt al-‘Arabīyah*, Isṭanbūl) ,(2).

al-Shahrī, ‘bdālhādy ibn Ẓāfir. (2024). *Istirātījīyāt al-khiṭāb, muqārabah lughawīyah tadāwulīyah* [in Arabic] (ED. 3). Dār Raqīm, al-Riyāḍ.

al-Sijilmāsī, Abū Muḥammad al-Qāsim. (DOD 704 AH, ED. 1998 AD). *al-Manza‘ al-Badī‘ fī tjnys Asālīb al-Badī‘* [in Arabic], (‘Allāl al-Ghāzī, codicologist) (ED. 1). Maktabat al-Ma‘ārif, al-Rabāṭ.

al-Simā‘īl, ‘Abd-al-Raḥmān ibn Ismā‘īl. (1422 AH). *al-Ghadhdhāmī al-nāqid, qirā’ah fī Mashrū‘ al-Ghadhdhāmī al-naqdī* [in Arabic]. Mu’assasat al-Yamāmah al-Ṣuḥufīyah, al-Riyāḍ.

al-Walī, Muḥammad al-siyāq. (July, 2007). Ishkālīyat qadīmah fī Aḍwā’ jadīdah. *Majallat faṣlīyah tuṣdiruhā al-Rābiṭah al-Muḥammadīyah lil-‘Ulamā’*, (25).

Bārah, ‘Abd. (2015). *al-Asās al-lughawī fī fahm al-Qur’ān ladá ‘ulamā’ al-uṣūl, al-Majlis al-dawlī lil-lughah al-‘Arabīyah* [in Arabic], al-Mu’tamar al-dawlī al-rābi‘ lil-lughah al-‘Arabīyah, Dubayy.

Byrlmān, shāyīm., tytkā, Lūsī. (2023). *almuṣannaf fī al-Ḥajjāj, al-khaṭābah al-Jadīdah* [in Arabic] (Muḥammad al-Walī, translator). Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, Lībiyā.

Dāyk, Fān. (2000). *al-naṣṣ wa-al-siyāq* [in Arabic], (‘Abd-al-Qādir qnyny, translator). Afrīqiyā al-Sharq, al-Maghrib.

Ghaqāqiliyyah, Wuhaybah. (2020). al-fi‘l al-kalāmī wa-sulṭat al-talafuz fī falsafatay al-fi‘l wa-al-‘amal [in Arabic], *Majallat Ishkālāt fī al-lughah wa-al-adab*, al-Jazā’ir (3).

Ibn Ḥamdūn, Muḥammad ibn al-Ḥasan. (DOD 562 AH, ED. 1996 AD). *al-Tadhkirah alḥamdūniyyah* [in Arabic], (Iḥsān ʻAbbās & Bakr ʻAbbās, codicologists), (ED.1). Dār Ṣādir, Bayrūt.

Ibn Sīnā, al-Ḥusayn ibn Aḥmad. (1953). *Fann al-shiʻr min Kitāb al-Shifāʼ* [in Arabic] (ʻAbd-al-Raḥmān Badawī, codicologist). Maktabat al-Nahḍah al-Miṣrīyah, al-Qāhirah.

Ismāʻīl, Ṣalāḥ. (2007). Naẓarīyat Jūn syrl fī alqṣdyh, dirāsah fī Falsafat al-ʻaql [in Arabic]. *Ḥawlīyāt al-Ādāb wa-al-ʻUlūm al-ijtimāʻīyah*, Jāmiʻat al-Kuwayt.

Jāb Allāh, al-Sayyid ʻbdālftāḥ. (2014). *Falsafat al-lughah wa-al-manṭiq, dirāsah fī Falsafat strāwsn* [in Arabic]. Muʼassasat al-Warrāq lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, ʻAmmān .

Khaṭṭābī, Muḥammad. (1991). *Lisānīyāt al-naṣṣ madkhal ilá insijām al-khiṭāb* [in Arabic]. al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, Bayrūt.

Miftāḥ, Muḥammad. (1990). *majhūl al-Bayān* [in Arabic]. Dār Tūbqāl lil-Nashr, al-Dār al-Bayḍāʼ.

Naṣṣār, Nāṣif. (2001). *Manṭiq al-Sulṭah, madkhal ilá Falsafat al-amr* [in Arabic] (ED. 2). Dār Amwāj, Bayrūt.

Ṣaḥrāwī, Masʻūd. (2005). *al-Tadāwulīyah ʻinda ʻulamāʼ al-ʻArab* [in Arabic]. Dār al-Ṭalīʻah, Bayrūt.

sbīrbīr, Dan., wīlsūn Dīrdrī. (2016). *Naẓarīyat al-ṣilah aw al-munāsibah fī al-tawāṣul wa-al-idrāk* [in Arabic], (Hishām Ibrāhīm al-Khalīfah, translator). Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, Bayrūt.

Yūl, Jūrj. (2010). *al-Tadāwulīyah*. [in Arabic], (Quṣayy al-ʻItābī, translator). al-Dār al-ʻArabīyah lil-ʻUlūm Nāshirūn, al-Rabāṭ.

معلومات عن الباحث

د. حمد بن عبدالله العوفي، أستاذ مشارك، في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة طيبة بالمدينة المنورة، حاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة الأدبية من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة 2019م، تدور اهتماماته البحثية حول الدراسات البلاغية الشعرية والنثرية، وتحليل الخطاب الأدبي.

Biographical Statement

Dr. Hamad bin Abdullah Al-Oufi, Associate Professor in the Department of Arabic Language at the Faculty of Arts and Humanities, Taibah University, Madinah. He holds a PhD in Literary Philosophy from King Abdulaziz University, Jeddah, 2019. His research interests focus on rhetorical studies of poetry and prose, as well as literary discourse analysis.

Email: houfi@taibahu.edu.sa